- زلازل البلدان ... والأمن في الأوطان !!
- توحيد رب العالمين هو سبب الأمن والتمكين

التوحيد

لماذا التوحيد؟

السلفية صمام أمان للأمة



إسلامية - ثقافية - شهرية ■ تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية ■ العدد ٤٧٣ - السنة الأربعون - جمادى الأولى ١٤٣٢هـ - الثمن ٢ جنيه

أنصار السنة المحمدية والانتخابات

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

■ رئيس مجلس الإدارة

د. عبدالله شاكر الجنيدي

صاحبة الامتياز

جماعة أنصار السنة المحمدية

السنة الأربعون

العدد ٤٧٣ جمادى الأولى ١٤٣٢ هـ

■ المشرف العام

د. عبدالعظيم بدوي

■ اللجنة العلمية

زكريا حسيني محمد

جمال عبدالرحمن

معاوية محمد هيكل

■ ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

■ الاشتراك السنوي

١ - في الداخل ٣٠ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).

٢ - في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودي أو ما يعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

"السلام عليكم"

★★ هذه دعوتنا ★★

قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «أول ما نزل من القرآن سورةٌ من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب (أي رجع) الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر؛ لقالوا: لا ندع الخمر أبدًا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدًا».

وفي هذه الأيام التي نعيشها قد هيأ الله تعالى للدعاة حرية ومناخًا متاحًا للدعوة إليه؛ فينبغي استثمار ذلك بشكر الله أولاً، وأن يُخاطب الناس بما يفهمون، وليس بما يزعجهم ويخيفهم، ويغرس في نفوسهم الكراهية للدعوة.

ينبغي أن يكون الخطاب رقيقًا لطيفًا بالحكمة والموعظة الحسنة لا إثارة فيه ولا استعلاء، بل يجب على كل داعية أن يعرض بضاعة الإسلام عرضًا حكيمًا يغري سامعيه على حب الدعوة والداعي، وأن تقوم الدعوة إلى الله على التلطف واللين مع الناس.

وقد أشار القرآن الكريم إلى نحو من ذلك فقال: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا».



مجلة التوحيد

لا يستغني عنها مسلم

المركز العام: هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦ - ٢٣٩١٥٤٥٦

WWW.ANSARALSONNA.COM

التحرير: ٨ شارع قولة - عابدين - القاهرة ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات: ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

SEE2070@HOTMAIL.COM

WWW.ALTAWHED.COM

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط



"في هذا العدد"

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي

التنفيذ الفني

أحمد إبراهيم صوابي

البريد الإلكتروني

MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

رئيس التحرير:

GSHATEM@HOTMAIL.COM

GSHATEM@HYAHOO.COM

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع التجارية - قليوب - مصر

افتتاحية العدد

العلماء والمحافظة على الثوابت

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه الأبرار الأطهار إلى يوم الدين.. وبعدُ:

فالأمة اليوم تمر بمرحلة عصيبة في حياتها، تحتاج فيها إلى جهود العلماء الربانيين الذين يعرفون الداء، وينشرون الدواء، والأمة في أمسّ الحاجة إليهم للنهوض بها، والمحافظة على ثوابتها، وإني نظرت إلى الأحوال الواقعة في الساحة اليوم فوجدت عجبًا، البعض ينادي ويرفع صوته بضرورة تنحية الدين عن حياة الأمة، بل يذكرون أنه لا يصلح لقيادة البشرية، وآخرون ينادون بالعودة إلى الإسلام عقيدة وشريعة، وهذا هو الحق الذي ندعو إليه ويجب أن نلزمه، غير أن الطائفة الأولى توحد صفها وتجمع كلمتها في مواجهة الحق، والآخرون بينهم ضرب من الخلاف أحيانًا في مسائل مهمة، أو ما يمكن أن أطلق عليه «أوَليَات العمل في هذه المرحلة» للانطلاقة بهذا الأمة إلى ما يجب أن تكون عليه من قيادة وريادة، وقيام بالدين كما جاء من عند رب العالمين.

ولهذا سأذكر أهم الثوابت التي يجب أن يدركها الدعاة إلى الله خاصة، والأمة الإسلامية بعامة، ونحن في أمس الحاجة إليها اليوم؛ لتستقيم حياة الأمة وتعلو كلمتها وتنهض من كبوتها، ومن هذه الثوابت:

١- الدعوة إلى إخلاص الدين لله وعبادته وحده دون سواه:

توحيد رب العالمين أصل الأصول في الدين، وتوحيد العبادة أهم ألوان وأنواع التوحيد؛ إذ به تُساس الحياة، وعليه تبنى الشريعة، وما أرسل الله رسولاً إلا وبعثه بمدلوله، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا

مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ» [الأنبياء: ٢٥]، وهو حق الله الذي لا يكون لغيره، وهو أول دعوة الرسل أجمعين، قال تعالى: «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» [النحل: ٣٦]، فما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له.

قال ابن كثير رحمه الله: «فلم يزل تعالى يرسل الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوحًا، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم، الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: «وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» [الزخرف:٤٥، تفسير ابن كثير: ٧٦٨/٢].

وقد أمر الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم محمدًا أن يدعو أهل الكتاب إلى التوحيد، فقال تعالى: «قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ» [آل عمران: ٦٤]، والآية قررت وحدانية الألوهية، ووحدانية الربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الرسل، كما أن توحيد الألوهية هو أول واجب يُدعى العباد إليه، وأول ما يُخاطب به الناس من أمور؛ وذلك لأن سائر الأعمال لا تُقبل ولا تصح إلا به، فكما لا تُقبل صلاة بلا وضوء، لا تُقبل عبادة بلا توحيد، ولهذا لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل إلى اليمن قال له: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صلى الله عليه وسلم...». [البخاري ١٣٩٥].

وهذا هو التوحيد الذي يجب البدء به، والشهادتان والإقرار بهما أمارة على ثبوته ووجوده، وهو معقد النجاة في الدنيا؛ إذ به يثبت عقد الإسلام وتُعصم الدماء والأموال إلا بحقها، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله». [مسلم: ٣٤].

وقد دلَّ الحديث على صيانة مال من أتى بكلمة التوحيد ونفسه، كما أن هذا التوحيد هو معقد النجاة في الآخرة، قال الله تعالى: «وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا» [النساء: ١٢٤]، فاشترط لدخول الجنة الإيمان بالله – وهو توحيده – مع العمل الصالح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله بهما عبدٌ، غير شاك فيهما، إلا دخل الجنة». [مسلم: ٤٤].

وفي حديث معاذ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ: «يا معاذ: أتدري ما حق الله على العباد؟» قال: الله ورسوله أعلم. قال: «أن يُعبد الله ولا يُشرك

به شيء». قال: «أتدري ما حقهم عليه إذا فعلوا ذلك؟» فقال: الله ورسوله أعلم. قال: «أن لا يعذبهم». [مسلم: ٥٠].

وقد صح الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة، نسأل الله أن يجعلنا من أهلها، وأن تكون آخر ما ننطق به في دار الدنيا.

ومما يؤسف له أن البعض يعيب على أنصار السنة المحمدية اهتمامها بهذا التوحيد، وسعيها في نشره بين أفراد الأمة، ويعتبر ذلك مذمة ينتقصهم بها، ونحن جميعًا نلاحظ ما يقع فيه البعض من صرف لأنواع العبادة لغير الله، كالدعاء والذبح والنذر والتوسل، وغير ذلك، وهذه صور مشاهدة وواقعة فيما يُعرف بالموالد التي تُعقد وتقام بين الحين والآخر هنا وهناك. نسأل الله السلامة والعافية.

٢- تعظيم نصوص الكتاب والسنة:

أرسل الله نبيه ومصطفاه محمدًا صلى الله عليه وسلم لهداية الخلق، وأنزل عليه الكتاب والسنة، ونزلا بعلمه سبحانه، قال تعالى: «لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا» [النساء: ١٦٦]، وهذا يدل على أن ما بلّغه الرسول صلى الله عليه وسلم كله حق، وعلى كل مسلم أن يقابله بالتصديق الجازم والتسليم المؤكد، والقرآن والسنة هما المصدر الرئيسي للشريعة الإسلامية، وقد اشتملا على أصول الهداية وإسعاد البشرية في الدنيا والآخرة.

ولن يكون للمسلمين شأن ولا عز ونصر وتمكين، ولا فلاح في الدنيا والآخرة إلا بامتثال أوامر الله وطاعته، وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد وردت أوامر القرآن والأحاديث النبوية في وجوب العمل والانقياد والتسليم لما جاء عن الله تعالى، أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وذلك مثل قوله تعالى: «وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» [النساء: ٦٩]، كما أمر الله عباده المؤمنين بالتحاكم إلى الكتاب والسنة عند التنازع والخلاف، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» [النساء: ٥٩]. قال الشيخ عبدالرحمن السعدي - رحمه الله-: «أمر برد ما تنازع الناس فيه من أصول الدين وفروعه إلى الله والرسول صلى الله عليه وسلم، أي: إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن فيهما الفصل في جميع المسائل الخلافية، إما بصريحهما، أو عمومهما...؛ لأن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم عليهما بناء الدين، ولا يستقيم الإيمان إلا بهما، فالرد إليهما شرط في الإيمان، فلهذا قال: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ».» [تفسير السعدي ٢/٨٩، ٩٠].

كما جاءت آيات في القرآن الكريم تمدح المؤمنين المعظّمين لحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مع البشرى العظيمة لهم وهي الفلاح والفوز. قال الله تعالى: «إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [النور: ٥١]، كما نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يتقدموا بين يدي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بقول أو فعل، فقال تعالى: «يا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [الحجرات: ١].

وهذا أدب عظيم أدَّب الله به عباده المؤمنين فيما يتعاملون به مع نصوص القرآن والسنة، وأنه يجب على كل مسلم تعظيم واحترام الوحي الإلهي، وقد ساق الحافظ ابن كثير – رحمه الله – أقوالاً عن السلف في تفسير الآية تبيِّن مدى تعظيمهم للنصوص والتسليم لها، ومن ذلك ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء، حتى يقضي الله على لسانه، وقال الضحاك: لا تقضوا أمرًا دون الله ورسوله من شرائع دينكم. [انظر تفسير ابن كثير ٢/٢٦٢].

وهذا هو حقيقة الأدب الواجب مع نصوص الكتاب والسنة، وهو عنوان سعادة العبد وفلاحه في الدنيا والآخرة، وصدق الله إذ يقول: «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى» [طه: ١٢٣].

كما وردت أحاديث كثيرة تحث على وجوب العمل بالكتاب والسنة والتحاكم إليهما، ومن ذلك ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال: «يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا، كتاب الله وسنتي». [أخرجه مالك في الموطأ برقم: ١٦١٩].

كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بوقوع الاختلاف وحصوله في الأمة، كما جاء ذلك في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، ثم ذكر صلى الله عليه وسلم المخرَج من ذلك والطريق الصحيح الذي يجب أن يكون عليه المسلم، وهو التزام سنته صلى الله عليه وسلم، وقد أوصى أصحابه بذلك، وهم أعمق الأمة إيمانًا، وأكثر الناس تحريًا للحق واتباعًا له.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «دعوني ما تركتم، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم في أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم». [البخاري: ٧٢٨٨].

والحديث أفاد أنه ينبغي للمسلم أن يلتزم ما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ثم يتشاغل بالعمل به، فإن كان من العلميات صدَّقه واعتقد حقيقته، وعمل بقلبه بمقتضاه، وإن كان من العمليات بذل وسعه في القيام به فعلاً وتركًا، وهذا هو المسلك الصحيح الذي يجب أن تكون عليه تجاه نصوص الوحيين.

قال شارح الطحاوية: «فالواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، فنوحِّده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما نوحِّد المرسِل [الله] بالعبادة والخضوع والذل والإنابة والتوكل، فهما توحيدان، لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل [الله]، وتوحيد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا نتحاكم إلى غيره، ولا نرضى بحكم غيره».

وهذا هو منهجنا ودورنا الذي نسأل الله الثبات عليه.

والحمد لله رب العالمين.

كلمة التحرير

زلازل البلدان.. والأمن في الأوطان !!

بقلم

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@YAHOO.COM

الحمد لله الذي ينزل البلاء برحمته وعدله، ويرفعه إذا شاء بالتوبة والإنابة والرجوع إليه؛ وبعد.

إن المتأمل لما يحدث من حولنا ليجد أن الفتن والمصائب قد أحدقت بنا من كل جانب، زلازل مدمرة، أعاصير مهلكة، وفيضانات مغرقة، هرج ومرج، صخب وإنزعاج، وتخوف وافتراء، هجمة شرسة على كل من هو إسلامي، التقاط لكلمات صدرت في لحظة تعبر عن فرحة تم تضخيمها، بل وتهويلها، وشن الحملات المضادة، وبث الذعر والتخويف من كل ما هو إسلامي، ونسبة كل ما يحدث من أخطاء مجتمعية تقع نتيجة المعايشة اليومية بين الناس فينسبوها إلى الجماعات الإسلامية بينما تثبت الأحداث أن الجماعات الدينية الموجودة على الساحة ممثلة في مشايخها وعلمائها هم أول من سارع إلى وأد الفتن في مهدها، في محاولة لإعادة الأمن والطمأنينية إلى البلاد، وقد كان لموقف جماعة أنصار السنة اليد الطولى في أزمة كنيسة قرية صول والمشاركة في عودة الروح بين أبناء الوطن، وكذلك موقف أنصار السنة في قنا، وإدانة أنصار السنة للحادث وقيام أحد شيوخ قنا وهو رئيس جمعية أنصار السنة بها بإستضافة المصالحة مع أهل القبطي الذي قطعت أذنه، وفي الجانب الآخر يغض الطرف عن من تهكم على الذات الإلهية بما لا يقبله مسلم، حتى لو صدر هذا الكلام من نائب رئيس الوزراء الدكتور يحيى الجمل، صاحب المطالبة بتعديل المادة الثانية من الدستور لتصبح «الإسلام مصدر رئيسي للتشريع» (بحذف الألف واللام) وتصوير أن كل ما هو اسلامي سوف ينشر بلبلة وفوضى في الشارع المصري، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

زلازل البلدان ... والأمن في الأوطان!!

لقد أجرى الله أمور عباده منذ أن خلقهم إلى أن يقبضهم وفق حكمة بالغة بين شدة ورخاء، ورغد وبلاء، وأخذ وعطاء، فسبحانه من إله علم عواقب الأمور وصرف الدهور، فمنع وأعطى، ومنح وامتحن، فجعل عباده متقلبين بين خير وشر، ونفع وضر، ولم يجعل لهم في وقت الرخاء أحسن من الشكر، ولا في أيام المحنة والبلاء أنجح من الصبر، فطوبى لمن وفق في الحالين للقيام بالواجبين، فشكر في السراء، وصبر عند الضراء، وابتهال إلى الله عند كل الحالين بالتضرع والدعاء.

إن الله لا يخلق شرًا محضًا، فكم من شر في نظر الناس ولكنه عند الله يحمل في طياته خيرًا كثيرًا، والله يعلم وأنتم لا تعلمون، فقد يبتلي الله عباده لتستيقظ النفوس الغافلة، ولتلين القلوب القاسية، ولتدمع العيون الجامدة، وإن من ذلك أن يهلك من حولهم لتحصل بذلك العظة والعبرة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (سورة الأحقاف الآية: ٢٧)، لعلهم يستيقظون من غفلتهم، ويرجعون إلى الله!!

وليعلم المسلم أن الحياة الدنيا ممر إلى دار مستقر إما إلى جنة بنعيمها، وإما إلى نار بعذابها، والناظر من حولنا ليجد أن الله سبحانه يرينا كل يوم من آياته ما يجعل صاحب العقل الواعي، يتأمل ما حوله من أحداث، وسرعان ما يجد بلاداً كانت آمنة مطمئنة، ثم في لحظة يضربها، زلزال مدمر، ليجرف كل ما أمامه من مدن وقرى، أكوام من الحديد والبشر تطفو فوق الماء، ألسنة من اللهب اختلطت بموج البحر، سيارات معدة للتصدير احترقت ودمرت، عشرات من الآلاف من الضحايا والمشردين والمفقودين، وآلاف البشر ناموا على الطرق، وتوسدوا الحقائب، بلا مأوى ولا سكن، قد بدل الله أمنهم خوفًا، وبيوتهم دماراً وخرابا وفرحهم ترحًا وهي بلاد يضرب بها المثل في التقدم والحضارة والعلم والتفرد الصناعي في الحواسيب والسيارات، ومبان ضد الزلازل وإنذارات، ومع تقدمهم وتطورهم عجزوا عن صد دمار الزلزال بل طلبوا المساعدات من العالم إلا أنها قدرة الله، الذي قال في كتابه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ «يونس آية ٢٤» صنعوا ما لم يصنعه الشرق والغرب، وظنوا أنهم قوة لا تغلب في الصناعة، ونسوا التدبير الإلهية، ونسوا الصانع المبدع، ونسوا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة.

تخيل أن زلزالاً بالأرض وقع الآن فماذا أنت فاعل؟!! وأين ستذهب؟!! هل أخذت استعدادك؟ هل ستذكر أهلك وولدك؟!! هل ستبحث عن مالك الذي اكتسبته حلالاً أوخبيثا؟!!! ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ «الزلزلة آية ١-٦» فسينكشف كل شيء، فما الخلاص من هذا اليوم؟ قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾. «الزلزلة آية ٧-٨»

فكل ما على الأرض سيزول ويتبدل: المساكن والسيارات والأموال، كل ما على الأرض سيزول بفعل زلزال يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾. «إبراهيم الآية ٤٨»

إعتبار المؤمن بما يجري من أحداث

والمتأمل من حولنا ليجد زلزالاً آخر يهز الدول ويزلزل كيانها، ويعري فسادها، وينصر مظلومها، متغيرات كثيرة في منطقة واحدة هي بلاد العرب والمسلمين، وبنظرة إلى من حولنا تجد الأحداث

كلمة التحرير

متلاحقة ومتسارعة، بلدان تتغير، وحكومات تزول، ومبشرات تدخل السرور في نفوس الناس، والناس بين ناظر إلى غد مشرق، وبين متخوف ومقبوض، وبين هذا وذاك تجد من يقفون بالمرصاد لنشر الفتن والفوضى من أعداء الإسلام، يسارعون إلى أخذ القرارات الدولية وتجييش الجيوش للتدخل في الاضطرابات التي تحدث في بلاد المسلمين بحجة حماية الشعوب تارة، ونشر الحرية المزعومة تارة أخرى، كما حاولوا في العراق ومن قبلها لبنان والصومال وأفغانستان، وليبيا الآن مع إتفاقنا على فساد النظام القامع على قلوب العباد في ليبيا إلا أن السؤال الآن الذي يتبادر إلى الأذهان إلى النظام الغربي الأمريكي: أين كانت قواتكم وأسلحتكم الفتاكة حينما دمرت إسرائيل غزة وأحرقتها، وقتلت وشردت على مرأى ومسمع من نظام دولي جائر وظالم، وقف مشلولاً عاجزاً، متآمراً على شعب محتل دون أن يقدر على إصدار بيان يفرق فيه بين الضحية والجلاد، وإنما الحفاظ على دولة إسرائيل، وتفتيت العالم العربي والإسلامي من حولها إلى دويلات بعد نهب ثرواتها، وإضعاف حيلها، وبث الفتن بين شعوبها، متناسية أن الله سبحانه أكبر من كيدهم.

فما يحدث في البلاد هو آية من آيات الله، إنه قدر الله سبحانه يجريه على يد من يشاء فالله سبحانه ينصر الدين بالبر والفاجر... ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. «الأنفال الآية ٣٠»

مجلة التوحيد حذرت من هذه الأوضاع

وعلى صفحات مجلة التوحيد في عام ١٤٢٥هـ عدد صفر وتحت عنوان «الشرق الأوسط الكبير ومؤامرة أمريكا وإسرائيل»، وكذلك عدد رجب ١٤٢٥هـ تحت عنوان «فتن ومؤامرات على الأمة الإسلامية» مقالي رئيس التحرير «راجع الأعداد». جاء فيهما تنويها وتفسيرًا وتوضيحًا لما يحدث الآن في بلادنا، وليس السودان ببعيد، فقد تم تقسيمه حتى تتاح الفرصة لنهب ثرواته، والقضاء على سلة غذاء العالم العربي والإسلامي، وإيقاظ الخلافات الحدودية بين السودان ومصر، وإشعال الفتنة بين مصر والسودان، ودول حوض النيل لضرب مصر والسودان لصالح اليهود، والزلازل وتوابعها تقع هنا وهناك، ومتحالفوا الخفاء يحرصون الآن في شبه الجزيرة العربية لضرب إستقرار تلك الدول بل مساعدة حليفهم الإيراني في نشر المد الصفوي وسيطرته على تلك البلاد، وليس ما يحدث في البحرين بغائب عن أعينكم!!

عند الزلازل تقع الفتن

إن اعتقادنا الجازم بأن كل شئ يقع فهو بقدر الله، فيجب علينا مدافعة القدر بالقدر، وكما ندافع قدر المرض بالتداوي، فلابد أن ندافع قدرالظلم بالبحث عن الحلول التي تزيله أو تخففه على قاعدة المصالح الشرعية.

ويجب على المسلمين تحري ضبط القرارات التي تصدرها وقت الفتن بقاعدة المصالح والمفاسد، لأن الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها، والنظر لها لا يكون برؤية فردية من طرف واحد يرى الواقع من رؤيته الخاصة التي تصيب وقد تخطئ، بل يكون النظر للمصالح من خلال مجموعة العلماء ممن يعرفون شريعة الله، ويدركون الواقع ويعرفون ما يجري فيه، ودراسة السنن الكونية والتأمل في سير الأنبياء والأمم الماضية والحضارات السابقة وذلك من خلال التدبر لكتاب الله تعالى والنظر في التاريخ، كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ «الأنعام ١١» وقال تعالى: «ولن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً» «فاطر ٤٣»، وبيان هذه السنن للناس، وتعليمهم إياها ليُدْركوا الواقع وأحوال الفتن التي تمر بهم.

وكذلك اليقين الكامل بأن المستقبل لهذا الدين وأن النصر آتٍ ولو بعد حين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ

﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ «الصافات ١٧١، ١٧٢، ١٧٣»

وتأمل في حياة الأنبياء عليهم الصلاة وأتم التسليم وما جرى لهم، ثم انظر في نهاية المعاناه التي كانت لهم وللفئة المؤمنة التي معهم، وانظر في قصة نوح عليه السلام وكيف دعا قومه، ثم رفضوه، ثم كانت العاقبة للموحدين ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾ «الأعراف ٦٤»

وفي قصة عاد عليه السلام قال تعالى: «فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا» «الأعراف ٧٢».

وفي قصة صالح عليه الصلاة والسلام، قال تعالى مبيناً العقوبة التي نزلت بالمخالفين له ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ «الأعراف ٩١»

وفي قصة لوط عليه الصلاة والسلام، قال القوي العزيز ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ «الأعراف ٨٤».

وفي قصة موسى عليه الصلاة والسلام كيف كانت نهاية فرعون وجنوده؟ قال تعالى: ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ﴾ «الأعراف ١٣٦».

وفي النوازل والزلازل تظهر حاجة الناس إلى الأمن والاستقرار، فإذا فقد الأمن فُقدَ الأمان، وإذا فُقدَ الأمان، يكثر الهرج والمرَج، وينتشر الخوف والهلع، فلا تأمن على نفسك ولا تأمن على أولادك، ولا تأمن على مالك وممتلكاتك. فكم الحاجة ماسة إلى عودة الأمن والأمان حتى تستقر البلاد، وتهدأ النفوس، وتنتشر السكينة، والشارع المصري اليوم بل الأمة كلها لفي أمس الحاجة إلى أن يسود الأمن والاستقرار.

ندعوا الله العلي القدير أن يحفظ بلادنا وبلاد المسلمين، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن، فمن المستفيد إذا قامت سوق الفوضى في بلاد المسلمين، واختلفت كلمتهم، وتناقرت قلوبهم، وسالت دماؤهم بأيديهم، وانشغلوا بالفتن عن الإصلاح، وعن الدعوة إلى الله، وعن الجهاد في سبيله، وعن الأخذ بأسباب العزة والرفعة والرقي؟! إن المستفيد هم أعداء الله.

وقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم أن الزلازل ستكثر في آخر الزمان، وأن الفتن ستظهر، ويكثر القتل كما في الحديث الذي رواه الامام احمد والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل» ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج وهو القتل القتل.

اللهم احفظ علينا ديننا وأمننا والنعم التي أنعمت بها علينا

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الرئيس العام الدكتور/ عبدالله شاكر في ضيافة الجماعة السلفية بالاسكندرية

إنه في يوم الثلاثاء الموافق ٢٠١١/٣/٢٢م وفي إطار التعاون المثمر والبناء بين «أنصار السنة المحمدية والجماعة السلفية» ومن أجل تفعيل دور الدعوة والدعاة في واقع البلاد استضافت الجماعة السلفية بالاسكندرية الرئيس العام د. عبدالله شاكر وذلك من خلال مؤتمر حاشد بمسجد الفتح بالاسكندرية التحمت فيه قيادات الدعوة في مصر وكان في استقبال الرئيس العام قيادات الدعوة السلفية بالاسكندرية وفي مقدمتهم الشيخ العلامة الدكتور/ سعيد عبدالعظيم. وقد جاء اللقاء مؤثراً ومعبرا لما يدور على الساحة وقد حث فيه الدعاة على توحيد الأمة وجمع شملها على كلمة سواء لقيادة الأمة إلى أقوم طريق وأهدى سبيل

وفق الله الجميع لما فيه خير البلاد والعباد

باب السنة

السنة هي المصدر الثاني للتشريع

الحلقة الثانية

إعداد/ زكريا حسيني محمد

الحمد لله رب العالمين، خالق الخلق أجمعين، ومدبّر الكون كله بسماواته والأرضين، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله الأمين محمد بن عبدالله وعلى آله وصحابته أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فقد تحدثنا في العدد الماضي عن السُّنَّة كمصدر من مصادر التشريع الإسلامي، وبينا أنها المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، وعرّفنا السنة من حيث اللغة والاصطلاح، وذكرنا بعض الأدلة على حُجّية السنة من القرآن والحديث، ومن إجماع الصحابة على ذلك وعملهم به، وبيّنا كذلك أن السنة جاءت بيانًا لما أُجمل في القرآن مقيِّدة لمطلقه مخصِّصة لعمومه، وقد تؤسِّس حكمًا لم يرد في كتاب الله تعالى، وضربنا على ذلك الأمثلة.

وفي هذا العدد نذكر بعض الشبهات المثارة حول سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونبيِّن الرد عليها، مستمدين العون من الله تبارك وتعالى، ومستلهمين التوفيق والسداد منه سبحانه، فنقول:

إن بعض من يتظاهرون بالمحافظة على الإسلام وتطهيره مما طرأ عليه من تغيير وتبديل، يُوردون لضعاف العلم من المسلمين شبهاتٍ ليبطلوا حجية السنة، فمنهم من يكتب ذلك في مقالات يدفعها إلى بعض المجلات فتنشرها تحت شعار حرية التعبير عن الرأي - مهما كان فيه من ضلال - ومنهم من يسوِّد بها صفحات كُتُب ينشرونها بين الناس، ونحن نذكر بعض هذه الشبهات، ونذكر الرد عليها ملخِّصين كلام أهل

العلم في ذلك:

الشبهة الأولى:

قالوا: «إن الله تعالى يقول: «مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ» [الأنعام:٣٨]، ويقول سبحانه: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» [النحل:٨٩]، وذلك يدل على أن الكتاب قد حوى كلَّ شيء من أمور الدين، وكلَّ حكم من أحكامه، وأنه قد بيّنه بيانًا تامًّا، وفصّله تفصيلاً واضحًا، بحيث لا يحتاج إلى شيء آخر مثل السنة ينص على حكم من أحكام الدين أو يبينه أو يفصّله، وإلا: لكان الكتاب مفرّطا فيه، ولما كان تبيانًا لكل شيء، فيلزم الخُلْف في خبر الله تعالى، وهو مُحالٌ».

قال الدكتور عبدالغني محمد عبدالخالق، بعد أن ساق هذه الشبهة بنصها:

والجواب عن ذلك: أنه ليس المراد من الكتاب في الآية الأولى القرآن، بل المراد منه اللوح المحفوظ، فإنه الذي حوى كل شيء، واشتمل على جميع أحوال المخلوقات: كبيرها وصغيرها، جليلها ودقيقها، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، على التفصيل التام: كما قال صلى الله عليه وسلم: «جفَّ القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة» [البخاري ٥٠٧٦].

وهذا هو المناسب لذكر هذه الجملة عقب قوله تعالى: «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ» [الأنعام:٣٨] – فإن أظهر الأقوال – في معنى المثلية هنا – أن أحوال الدواب من العُمْر والرزق والأجل والسعادة والشقاء موجودةٌ في الكتاب المحفوظ مثل أحوال البشر في ذلك كله.

ولو سلمنا أن المراد به القرآن – كما هو في الآية الثانية – فلا يمكن حمْل الآيتين على ظاهرهما من العموم، وأن القرآن اشتمل على بيان وتفصيل كل شيء، وكل حكم، سواء أكان ذلك من أمور الدين أم من أمور الدنيا، وأنه لم يفرِّط في شيء منها جميعها، وإلا للزم الخُلْف في خبره تعالى، كما هو ظاهر بالنسبة للأمور الدنيوية.

وكما يُعلم مما سبق من أن القرآن يتعذر العمل به وحده بالنسبة للأحكام الدينية، فيجب العدول عن ظاهر الآيتين وتأويلهما.

وللعلماء في تأويلهما أوجهٌ نختار منها الوجه الأول ونجتزئ به، ففيه الغُنْيَة:

وهو أن المراد: أنه لم يفرط في شيء من أمور الدين وأحكامه، وأنه بيَّنها جميعها دون ما عداها: لأن المقصود من إنزال الكتاب بيانُ الدين، ومعرفةُ الله، ومعرفةُ أحكامه.

وهذا البيان على نوعين: بيان بطريق النص، وبيان بطريق الإحالة: قال الإمام الشافعي في الرسالة: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلةٌ إلا وفي كتاب الله تعالى الدليل على سبيل الهدى فيها، قال الله تبارك وتعالى: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» [إبراهيم:١]، وقال جل ذكره: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [النحل:٤٤]، وقال سبحانه: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» [النحل:٨٩]، وقال جل ثناؤه: «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [الشورى:٥٢].

قال: فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه مما تعبَّدهم به كما مضى في حكمه – جل ثناؤه –

من وجوه:

فمنها: ما أبانه لخلقه نصًا، مثل جُمَل فرائضه، في أن عليهم صلاةً وزكاة وصومًا وحجًا، وأنه حرَّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ونصَّ الزنا والخمر، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وبيَّن لهم كيف فرض الوضوء، وغير ذلك مما بيَّن نصًا.

ومنها: ما أحكم فرضه بكتابه، وبيَّن كيف هو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، مثل عدد الصلاة والزكاة ووقتها، وغير ذلك من فرائضه التي أنزل من كتابه.

ومنها: ما سنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مما ليس لله فيه نصّ حُكْم، وقد فرض الله تعالى في كتابه طاعةَ رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاءَ إلى حكمه؛ فمن قَبِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فَبِفَرْضِ الله قَبِل.

ومنها: ما فرض الله على خلقه الاجتهادَ في طلبه، وابتلى طاعتهم في الاجتهاد كما ابتلى طاعتهم في غيره مما فرض عليهم، فإنه تبارك وتعالى يقول: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ» [محمد:٣١]، وقال عز وجل: «وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ» [آل عمران: ١٥٤].

وقال الشافعي أيضًا - رحمة الله عليه-: كل ما سنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه كتاب، من ذكر ما منَّ الله به على العباد: من تعلُّم الكتاب والحكمة دليل على أن الحكمةَ سنةُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع ما ذكرنا مما افترض الله على خلقه من طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، وبيَّن من موضعه الذي وضعه الله به من دينه - الدليل على أن البيان في الفرائض المنصوصة في كتاب الله من أحد هذه الوجوه:

منها: ما أتى الكتاب على غاية البيان فيه، فلم يُحْتَج مع التنزيل فيه إلى غيره.

ومنها: ما أتى على غاية البيان في فرضه وافترض طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، فبيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله: كيف فرضه؟ وعلى مَن فرضه؟ ومتى يزول بعضه، ويثبت، ويجب؟

ومنها: ما بيَّنه عن سنة نبيه صلى الله عليه وسلم بلا نص كتاب، وكل شيء منها بيان في كتاب الله تعالى، فكل من قبل عن الله فرائضه في كتابه قَبِل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُنَنَه، بفرض الله طاعة رسوله على خلقه، وأن ينتهوا إلى حكمه، ومن قبل عن رسول الله فعن الله قبل.

الشبهة الثانية:

قالوا: إن الله تعالى تكفل بحفظ القرآن دون السُّنَّة، كما يدل عليه قوله سبحانه: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر: ٩]، ولو كانت السنة حُجةً ودليلاً مثل القرآن، لتكفل الله بحفظها أيضًا.

والجواب عن هذه الشبهة:

أن الله سبحانه وتعالى تكفل بحفظ شرعه كله: قرآنًا وسُنة، ولم يقتصر حفظه سبحانه على القرآن، بدليل قول الله جل ثناؤه: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» [سورة التوبة: ٣٢]، والمراد بنور الله شرعُه ودينُه الذي ارتضاه لعباده وكلَّفهم به، وضمَّنه مصالحهم، والذي أوحاه الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم من قرآن وسنة ليهتدوا به إلى ما فيه الخير والسعادة لهم في الدنيا والآخرة.

وأما قوله تعالى: «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا

لَهُ لَحَافِظُونَ» [الحجر:٩]، فللعلماء في ضمير الغيبة – في له – قولان: أحدهما: أنه يرجع إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وحينئذ لا يصح التمسك بالآية لإيراد هذه الشبهة.

الثاني: أنه يرجع إلى الذكر، فإن فُسّر بالشريعة كلها من كتاب وسنة، فلا يصح التمسك بها أيضًا، وإن فسَّرناه بالقرآن، فليس في الآية حصرٌ حقيقيّ، فأنت ترى أسلوب الآية ليس فيه حصر – فإن الله تعالى حفظ أشياء كثيرة غير القرآن؛ مثل حفظه نبيّه صلى الله عليه وسلم من الكيد والقتل؛ بقوله تعالى: «وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ» [المائدة: ٦٧]، وكذا حفظه العرش والسماوات والأرض من الزوال إلى أن تقوم الساعة. وتقديم الجار والمجرور (له) هنا ليس للحصر، وإنما هو لمناسبة رءوس الآي.

ولو كان في الآية حصر إضافي بالنسبة إلى شيء مخصوص ما جاز أن يكون هذا الشيء هو السنة؛ لأن حفظ القرآن متوقف على حفظها، ومستلزم له؛ لأنها حصنه الحصين، ودرعه المتين، وحارسه الأمين، وشارحه المبين، تفصّل مجمله، وتفسّر مشكله، وتوضّح مبهمه، وتقيّد مطلقه، وتبسط مختصره، وتدفع عنه عبث العابثين، ولهو اللاهين، وتأويلهم إياه على حسب أهوائهم وأغراضهم، وما تمليه عليهم رؤساؤهم وشياطينهم، فحفظها من أسباب حفظه، وصيانتها صيانةٌ له.

ولقد حفظها الله تعالى كما حفظ القرآن؛ فلم يذهب منها شيء على الأمة، ولله الحمد والمنة.

فكما قيَّض الله تعالى للكتاب الحكيم، العددَ الكثير والجمَّ الغفير من ثقات الحَفَظة المتقنين في كل قرن من القرون لينقلوه كاملاً إلى من بعدهم حتى أبقاه الله تعالى محفوظًا يُقرأ إلى اليوم، وإلى أن تقوم الساعة غضًّا طريًّا كما أُنزل، دون زيادة أو نقص، أو تحريف أو تبديل أو تغيير، فكذلك قيَّض سبحانه للسُّنة الشريفة مثل هذا العدد من ثقات الحَفَظة؛ فقَصَروا أعمارهم وأفنوا حياتهم في البحث والتنقيب عن الصحيح من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ينقلونها عمن كان مثلهم في الثقة والعدالة والضبط، إلى أن يصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ميّزوا لنا الصحيح من السقيم، ونقلوه إلينا سليمًا من كل شائبة، منزهًا عن كل شك وشبهة، واستقر الأمر وأسفر الصبح لكل ذي عينين.

ولأن الله تعالى حفظ سُنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما حفظ القرآن، وجعلها سبحانه حصنًا للقرآن، ودرعًا وحارسًا وشارحًا له، كانت الشجى في حلوق الملحدين، والقذى في عيون المتزندقين، والسيفَ القاطع لشُبَه المنافقين، وتشكيكات الكائدين، فلا غرو ولا عجب إذا لم يألوا جهدًا ولم يدخروا وُسْعًا في الطعن في حُجيتها والتهوين من أمرها، والتنفير من التمسك بها، والاهتداء بهديها؛ لينالوا من القرآن ما يريدون، ومن هدم الدين ما ينشدون «وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ». والحمد لله رب العالمين. اهـ. [من كتاب الشيخ عبدالغني عبدالخالق. بتصرف].

نسأل الله تعالى أن يحيينا بالكتاب والسنة، وأن يرد المسلمين إليهما ردًّا جميلاً، وأن يوفق ولاة أمور المسلمين للعمل بالكتاب والسنة، وتحكيم شرع الله في بلاده وعباده، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وللحديث بقية إن شاء الله.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

وقفات نحو تربية الأبناء

إعداد/ عبده الأقرع

الحمد لله الولي الحميد، الفعال لما يريد، والصلاة والسلام على نبيّه المصطفى، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره. أما بعد:

فإن نعم الله عز وجل على العباد لا تُحصى، وعطاياه لا تُعد، ومن تلك النعم العظيمة وأجلّها نعمة الأبناء.

قال الله تعالى: «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ» [النحل:٧١، ٧٢] ولا يعرف عظم هذه النعمة إلا من حُرم منها.

وهم زينة، قال الله تعالى: «الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [الكهف:٤٦]، وزينة الذرية لا يكتمل بهاؤها وجمال إلا بصلاحها.

وهذه النعمة العظيمة هي أمانة ومسئولية، يُسأل عنها الوالدان يوم القيامة، أحفظا أم ضيّعا؟

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كلكم راع، وكلكم مسولٌ عن رعيته، والإمامُ راع ومسئولٌ عن رعيته، والرجلُ راع في أهله وهو مسئول عن رعيته». [البخاري ٢٧٥١].

وعن أبي يعلى معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاشٌ لرعيته إلا حرَّم الله عليه الجنة». [متفق عليه].

ولقد استهان كثيرٌ من الآباء بهذا الحق فأضاعوا أولادهم ونسوهم، كأنَّ لا مسئولية لهم عليهم، لا يسألون أين ذهبوا ولا متى جاءوا، ولا مَن أصدقاؤهم وأصحابهم، ولا يوجهونهم إلى خير ولا ينهونهم عن شر.

ومن العجب أن هؤلاء حريصون كل الحرص على أموالهم بحفظها وتنميتها، والسهر على ما يصلحها، مع أن المحافظة عليهم أولى وأنفع في الدنيا والآخرة، وكما أن الوالد يجب عليه تغذية جسم الولد بالطعام والشراب، وكسوة بدنه باللباس، كذلك يجب عليه أن يغذّي قلبه بالعلم والإيمان، ويكسو روحه بلباس التقوى فذلك خير.

يقول ابن القيم رحمه الله: «فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قِبَل الآباء وإهمالهم لهم، وترك تعليمهم فرائض الدين فأضاعوهم صغارًا، فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كبارًا». اهـ.

فعلى الآباء أن يقوموا بتربية أولادهم وتوجيههم وإرشادهم ومراقبتهم مراقبة تامة، لاسيما في الوقت الذي تكثر فيه الفتن، وتشتد فيه المنكرات، فإن الأمانة تحتّم عليهم الرقابة أكثر مما إذا خفت الفتن وقلّت المنكرات.

وقفات سريعة إلى كل أب وأم، لعل الله أن ينفع بها:

الدعاء للأبناء بالهداية والصلاة:

قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» [البقرة:١٨٦]، وقال تعالى: «وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» [غافر:٦٠] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدعاءُ هو العبادة». [صحيح الجامع: ٣٤٠٧].

وقد دعا الأنبياء والمرسلون لأبنائهم، فهذا خليل الرحمن إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام.

يقول الخليل عليه السلام: «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» [إبراهيم:٣٥].

ويقول عليه السلام: «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ» [إبراهيم:٤٠].

فعليك أيها الوالد بالتأسي بالأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين بالدعاء لأولادك بالهداية والصلاح، فكم من دعوة اهتدى بسببها ضالّ، وكم من دعوة اختصرت مسافات التربية.

واحذر أيها الوالد كل الحذر أن تدعو على أبنائك، فقد توافق دعوتك وقتًا يُستجاب فيه الدعاء، فتستجاب دعوتك على ولدك، فتجني أنت عاقبتها. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على خدمكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يُسأل فيها عطاءٌ فيستجيب لكم». [صحيح الجامع: ٧٢٦٧].

صلاح الوالدين ينفع الأبناء بإذن الله:

لصلاح الوالدين عظيم الأثر في صلاح الأبناء، فقد يحفظ الله العبد بصلاحه بعد موته في ذريته، كما حدث مع موسى والخضر عليهما السلام حين مرا على أهل قرية فطلبا من أهلها الطعام، فأبوا أن يُضيفوهما، فوجدا في هذه القرية جدارًا مائلاً يريد أن يسقط فأقامه الخضر.

قال الله تعالى: «وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» [الكهف:٨٢]. قال سعيد بن المسيب لابنه: لأزيدنّ في صلاتي من أجلك، رجاء أن أحفظ فيك، ثم تلا هذه الآية: «وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا» [الكهف:٨٢].

وقال عمر بن عبدالعزيز: ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه.

وقال ابن المنكدر: إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله، فما يزالون في حفظ من الله وستر. [جامع العلوم والحكم ص١٦٣].

فالولد ينتفع بصلاح أبويه في الدنيا وفي الآخرة، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ

مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» [الطور:٢١].

محافظة الوالدين على دين أولادهما:

هذا نبيُّ الله يعقوب عليه السلام في اللحظات الأخيرة من حياته يريد أن يطمئن على عقيدة بنيه من بعده، يقول الله تعالى: «أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ» [البقرة:١٣٣].

وهذا لقمان الحكيم يوصي ابنه وصيةً تكون سببًا لسعادة الدارين سجَّلها لنا ربنا سبحانه وتعالى لتكون عبرة وعظة: «لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ» [ق:٣٧].

يقول الله تعالى: «وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ». ثم قال له: «يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» [لقمان:١٣- ١٩].

ما أحوجنا معشر الآباء إلى هذه الموعظة، نتدبرها ونعمل بها في أنفسنا، ثم نعظ بها أبناءنا.

ولقد رسم النبي صلى الله عليه وسلم فيما رسم منهجًا واضحًا في وصايا وجَّهها لشباب الأمة وأبناء الأمة المحمدية، ممثلة في ابن عمه الغلام عبدالله بن عباس رضي الله عنهما حيث قال: «يا غلام، إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام وجفت الصحف». [صحيح الجامع: ٧٩٥٧].

فالأصل في تربية النشء إقامة عبودية الله تعالى في قلوبهم، وغرسها في نفوسهم وتعاهدها.

إن أول لبنة في بناء الشباب لبنةُ العقيدة، ورسوخ الإيمان، وصدق التعلق بالله وحده والاعتماد عليه.

إن أولها حفظ الله بحفظ حقوقه وحدوده، ومن ثمَّ الاستعانةُ به وحده في الأمور كلها، والتوكل عليه، واليقين الجازم بأن بيده سبحانه الضرّ والنفع.

فاجتهد أيها الوالد في تربية أولادك، واعلم أنك لن تنتفع بعد مماتك إلا بمن صلح منهم. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له». [مسلم: ١٦٣١].

ولن يجمع الله معك في الجنة إلا من صلح منهم.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده ما من عبد يؤمن ثم يسدد إلا سُلك به في الجنة، وأرجو ألا يدخلوها حتى تبوءا أنتم ومن صلح من ذراريكم مساكن في الجنة، ولقد وعدني ربي عز وجل أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب». [صحيح الجامع: ٧٠٦٢].

جعلني الله وإياكم منهم.

باب الفقه

أحكام الحيض

الحلقة الثالثة



إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فقد بدأنا من قبل في الكلام على أحكام الحيض، وفي هذه الحلقة نناقش الأحكام المترتبة على الحيض والنفاس، فنقول وبالله تعالى التوفيق: اعلم أخي القارئ أن الحيض والنفاس يجتمعان في أكثر الأحكام، ولا يختلفان إلا في بعض الأمور سوف نذكرها عند الحديث عن الفرق بين الحيض والنفاس.

أولاً: الأحكام المتعلقة بالحيض:

١- الحيض ومثله النفاس يوجب الغسل بعد انقطاعه:

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْحَيْضَ مُوجِبٌ مِنْ مُوجِبَاتِ الْغُسْل، فَإِذَا انْقَطَعَ الدَّمُ وَجَبَ عَلَى الْمَرْأَةِ أَنْ تَغْتَسِل لاسْتِبَاحَةِ مَا كَانَتْ مَمْنُوعَةً مِنْهُ بِالْحَيْضِ؛ لقوله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» [البقرة: ٢٢٢]. قوله تعالى: «فَإِذَا تَطَهَّرْنَ» أَيْ إِذَا اغْتَسَلْنَ، فَمَنَعَ الزَّوْجَ مِنْ وَطْئِهَا قَبْل غُسْلِهَا، فَدَل عَلَى وُجُوبِهِ عَلَيْهَا لإِبَاحَةِ الْوَطْءِ. ولقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت أبي حُبَيْش: «فإذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة، وإذا أدبرت فاغسلي عنك الدم وصَلِّي» [متفق عليه] وفي رواية للبخاري: «ولكن دعي الصلاة قدر الأيام التي كنت تحيضين فيها، ثم اغتسلي وصلي»، وَأَمَرَ بِهِ أُمَّ حَبِيبَةَ وَسَهْلَةَ بِنْتَ سُهَيْل وَغَيْرَهُنَّ.

وَلاَ خِلاَفَ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ فِي أَنَّ الانْقِطَاعَ شَرْطٌ لِصِحَّةِ الْغُسْل، وَغُسْل الْحَيْضِ كَغُسْل الْجَنَابَةِ، وَيُسْتَحَبُّ لِلْمُغْتَسِلَةِ مِنَ الْحَيْضِ، تَطْيِيبُ مَوْضِعِ الدَّمِ. لما رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، سَأَلَتِ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم عَنْ غُسْلِ الْمَحِيضِ؟ فَقَالَ: تَأْخُذُ إِحْدَاكُنَّ مَاءَهَا وَسِدْرَتَهَا، فَتَطَهَّرُ فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ. ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ دَلْكًا شَدِيدًا، حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا، ثُمَّ تَصُبُّ عَلَيْهَا الْمَاءَ. ثُمَّ تَأْخُذُ فِرْصَةً مُمَسَّكَةً فَتَطَهَّرُ بِهَا فَقَالَتْ أَسْمَاءُ: وَكَيْفَ تَطَهَّرُ بِهَا؟ فَقَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ. تَطَهَّرِينَ بِهَا. فَقَالَتْ عَائِشَةُ. كَأَنَّهَا تُخْفِي ذَلِكَ تَتَبَّعِينَ أَثَرَ الدَّمِ. وَسَأَلَتْهُ عَنْ غُسْلِ الْجَنَابَةِ؟ فَقَالَ: تَأْخُذُ مَاءً فَتَطَهَّرُ، فَتُحْسِنُ الطُّهُورَ، أَوْ تُبْلِغُ الطُّهُورَ. ثُمَّ تَصُبُّ عَلَى رَأْسِهَا فَتَدْلُكُهُ. حَتَّى تَبْلُغَ شُؤُونَ رَأْسِهَا. ثُمَّ تُفِيضُ عَلَيْهَا الْمَاءَ. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: نِعْمَ النِّسَاءُ نِسَاءُ الأَنْصَارِ، لَمْ يَكُنْ يَمْنَعُهُنَّ الْحَيَاءُ أَنْ يَتَفَقَّهْنَ فِي الدِّينِ. [مسلم ٣٣٢] [وانظر الفقه الإسلامي وأدلته وهبة الزحيلي والموسوعة الفقهية الكويتية].

٢- البلوغ:

اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى أَنَّ الْحَيْضَ عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ الْبُلُوغِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا التَّكْلِيفُ، فَإِذَا رَأَتِ الْمَرْأَةُ الدَّمَ فِي زَمَنِ الْإِمْكَانِ، أَصْبَحَتْ بَالِغَةً وأهلاً للتكاليف الشرعية بالحيض؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار» [أبو داود ٦٤١ وصححه الألباني]، فأوجب عليها أن تستتر لأجل الحيض، فدل على أن التكليف حصل به. [الفقه الإسلامي وأدلته وهبة الزحيلي، والموسوعة الفقهية الكويتية].

٣- الحكم ببراءة الرحم في الاعتداد بالحيض:

من المعلوم أن الأصل في مشروعية العدة: العلم ببراءة الرحم، وقد سبق أن بيّنا أن الحيض هو استعداد متكرر للحمل، فإذا حاضت المرأة دل ذلك على أن الرحم خالٍ من الحمل.

٤- الاعتداد بالحيض:

وهذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها أهل العلم، فقد ذهب الحنفية والحنابلة إلى أن عدة المرأة المطلقة تكون بالحيض؛ لأن الأقراء الثلاثة المنصوص عليها في قوله تعالى: «وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» [البقرة: ٢٢٨]، هي الحيضات، ولا تنتهي عدة المطلقة غير الحامل إلا بانتهاء الحيضة الثالثة، ولا تحتسب الحيضة التي وقع الطلاق في أثنائها. وقال المالكية والشافعية: القرء: الطهر، فتحسب العدة بزمن الأطهار، وتنتهي العدة بابتداء الحيضة الثالثة، ويحتسب الطهر الذي وقع الطلاق فيه من الأطهار الثلاثة، ولو كان لحظة، وليس هذا موضع بسط هذا الخلاف.

٥- الكفارة بالوطء في أثناء الحيض عند الحنابلة، وسيأتي الكلام في ذلك في ما يحرم بالحيض.

ثانياً: ما يحرم بالحيض والنفاس:

يحرم بالحيض والنفاس أكثر ما يحرم بالجنابة كالصلوات كلها، وسجود التلاوة، ومسّ المصحف، ودخول المسجد، والطواف، والاعتكاف، وقراءة القرآن. على خلاف في بعض هذه الأمور سيأتي بيانه في موضعه. ويزاد على ذلك أمور أخرى قال بها الفقهاء بين مُضيق وموسع، وتفصيل هذه الممنوعات في حالة الحيض ومثله النفاس، وأدلتها يتبين فيما يأتي:

١- الطهارة:

فإذا حاضت المرأة حَرم عليها الطهارة للحيض غسلاً أو وضوءًا في رأي الشافعية والحنابلة؛ لأن الحيض ومثله النفاس يوجب الطهارة، وما أوجب الطهارة منع صحتها كخروج البول، أي أن انقطاعه شرط لصحة الطهارة له. فإن قصدت بهذه الطهارة التعبد لله وهي تعلم بعدم صحتها أثمت كمن يصلي وهو مستدبر القبلة وهو يعلم أنه يجب عليه استقبالها، لكن إن أَمَرَّتْ الماء على جسدها بغير قصد التعبد فلا حرج عليها في ذلك بلا خلاف، لكن يجوز الغسل لجنابة أو إحرام ودخول مكة ونحوه، بل يُستحب ذلك؛ لأن هذه الطهارة القصد منها التنظف لأمره صلى الله عليه وسلم عائشة بالاغتسال عند حيضها وقت الحج وقوله لها: «افعلي ما يفعل الحاج، غير ألا تطوفي بالبيت حتى تطهري» [مسلم ١٢١١]. وأمره أسماء بنت عميس لحديث جابر عند مسلم. وفيه: «حتى إذا أتينا ذا الحليفة فولدت أسماء بنت عميس محمد بن أبي بكر، فأرسلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أصنع؟ قال: اغسلي واستثفري بثوب وأحرمي..» الحديث. [مسلم: ١٢١٨].

٢- الصلاة:

يحرم على الحائض والنفساء الصلاة، وليس عليها قضاء الصلاة بعد انقضاء الحيض بإجماع العلماء؛ وقد حكى غير واحد من أهل العلم هذا الإجماع منهم ابن جرير الطبري، والنووي في «المجموع»، فقال: أجمعت الأمة على أنه يحرم عليها الصلاة فرضها ونفلها، وأجمعوا على أنه يسقط عنها فرض الصلاة فلا تقضي إذا طهرت، قال أبو جعفر الطبري في كتابه «اختلاف الفقهاء»: أجمعوا على أنه عليها اجتناب كل الصلوات فرضها ونفلها. [المجموع: ٢/٣٥١].

لحديث فاطمة بنت أبي حُبَيش المتقدم: «إذا أقبلت الحيضة فدعي الصلاة» [متفق عليه]، ولما

روت عائشة رضي الله عنها: «كنا نحيض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنؤمر بقضاء الصوم، ولا نؤمر بقضاء الصلاة» [مسلم ٣٣٥]، ويحرم على الحائض قضاء الصلاة، والمعتمد عند الشافعية أنه يكره، وتنعقد نفلاً مطلقاً لا ثواب فيه.

٣- الصوم:

يحرم على الحائض والنفساء الصوم ويمنع صحته، لحديث عائشة السابق، فإنه يدل على أنهن كن يفطرن. ولحديث أبي سعيد الخدري: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للنساء: «أليس شهادةُ المرأة مثلَ نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال: فذلكن من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم؟ قلن: بلى؟ قال: فذلك من نقصان دينها» [البخاري ٣٠٤]، ولا يسقط قضاؤه عنهما، فتقضي الحائض والنفساء الصوم دون الصلاة للحديث نفسه، وهذا محل إجماع من أهل العلم. حكاه الترمذي في جامعه، فقال: وهو قول عامة الفقهاء لا اختلاف بينهم في أن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة، فإن قيل: ما الحكمة أنَّها تقضي الصَّوم، ولا تقضي الصَّلاة؟ قلنا: الحكمة قول الرَّسول صلى الله عليه وسلم كما سبق.

أخرج البخاري تعليقا: وقال أبو الزناد: إن السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرا على خلاف الرأي فما يجد المسلمون بدا من إتباعها من ذلك أن الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة كما في صحيح البخارى قلت: لأن تمنع الحائض من الصلاة والطواف فهذا أمر معقول لأن الطهارة شرط في صحة الصلاة والطواف أما أن تمنع من الصيام فهذا لا مدخل للعقل فيه لأن الطهارة ليست شرطا في صحة الصوم فعنْ مُعَاذَةَ قَالَتْ سَأَلْتُ عَائِشَةَ فَقُلْتُ مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلاَ تَقْضِي الصَّلاَةَ فَقَالَتْ أَحَرُورِيَّةٌ أَنْتِ قُلْتُ لَسْتُ بِحَرُورِيَّةٍ وَلَكِنِّي أَسْأَلُ. قَالَتْ كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلاَ نُؤْمَرُ بِقَضَاءِ الصَّلاَةِ. أخرجه مسلم.

واستنبط العلماء-رحمهم الله- لذلك حكمة، فقالوا: إن الصَّوم لا يأتي في السَّنة إلا مَرَّةً واحدة، والصَّلاة تتكرَّر كثيرًا، فإيجاب الصَّوم عليها أسهل؛ ولأنها لو لم تقضِ ما حصل لها صومٌ. وأمَّا الصَّلاة فتتكرَّر عليها كثيرًا، فلو ألزمناها بقضائها لكان ذلك عليها شاقًّا. ولأنَّها لن تعدم الصَّلاة لتكرُّرها، فإذا لم تحصُل لها أوَّل الشَّهر حصلت لها آخره.

٤- مس المصحف وحمله:

اتَّفَقَ فُقَهَاءُ الْمَذَاهِبِ الأَرْبَعَةِ عَلَى أَنَّهُ يَحْرُمُ عَلَى الْحَائِضِ مَسُّ الْمُصْحَفِ مِنْ حَيْثُ الْجُمْلَةُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ» [الواقعة: ٧٩]، وَلِمَا رَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَتَبَ إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ كِتَابًا، وَكَانَ فِيهِ: لاَ يَمَسُّ الْقُرْآنَ إِلاَّ طَاهِرٌ. [الطبراني والحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٧٧٨٠].

وَاسْتَثْنَى الْمَالِكِيَّةُ مِنْ ذَلِكَ الْمُعَلِّمَةَ وَالْمُتَعَلِّمَةَ؛ فَإِنَّهُ يَجُوزُ لَهُمَا مَسُّ الْمُصْحَفِ.

واستثنى الشافعية حالة الخوف على القرآن من غرق أو حرق أو نجاسة، أو وقوعه في يد كافر، فيجب حمله حينئذ، كما يجوز حمله باتفاق العلماء في تفسير أكثر منه يقينًا، ولا يجوز حمله عند الشافعية إذا قصده مع المتاع على المعتمد.

واستثنى الحنفية حالة مس القرآن بغلاف متجاف عن القرآن، ويرخص عندهم لأهل كتب الشريعة من حديث وفقه وتفسير أخذ الورقة بالكُمِّ وباليد للضرورة، وأجازوا تقليب أوراق المصحف بنحو قلم للقراءة، ولا يكره النظر للقرآن لجنب وحائض ونفساء؛ لأن الجنابة لا تحل العين.

وذهب ابن حزم الظاهري إلى جواز مس المصحف للحائض فقال: وأما مس المصحف فإن الآثار التي احتج بها من لم يجز للجنب مسه فإنه لا يصح منها شيء لأنها إما مرسلة وإما صحيفة لا تسند، وإما عن مجهول، وإما عن ضعيف ومس المصحف، وذكر الله تعالى أفعال خير مندوب إليها مأخوذ فاعلها، فمن ادعى المنع فيها في بعض الأقوال كلف أن يأتي بالبرهان. [المحلى ١/٨١].

قلت: وما ذهب إليه الجمهور أقوى وأرجح وأحوط، والله أعلم.

اختلف الفقهاء في حكم قراءة الحائض للقرآن، فذهب جُمْهُورُ الْفُقَهاء- الْحَنَفِيَّة وَالشَّافعِيَّة وَالْحَنابلَة- إلى حُرْمَة قرَاءتها للْقرْآن؛ لقوْل النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: لا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلاَ الْجُنُبُ شَيْئًا منَ الْقُرْآن. [الترمذي وابن ماجه وغيرهم وضعفه الألباني] من حديث عبدالله بن عمر، ثم نقل الترمذي عن البخاري أنه أعلّ إسناده.. وذهب الْمالكيَّةُ إلى أَنَّ الْحائض يَجُوزُ لها قراءَةُ الْقُرْآن في حال اسْترْسال الدَّم مُطْلَقًا، كانتْ جُنُبًا أَمْ لا، خافت النِّسْيانَ أَمْ لا.

وَأَمَّا إذا انْقَطعَ حَيْضُهَا، فلا تجوزُ لها الْقراءَةُ حتَّى تَغْتسل جُنُبًا كانَتْ أَمْ لا، إلاَّ أَنْ تخاف النِّسْيانَ. هَذا هُوَ الْمُعْتَمَدُ عنْدهُمْ؛ لأنَّها قادرَةٌ على التَّطهُّر في هذه الْحالَة، وَاخْتارَ ابْنُ تَيْميَّةَ أَنَّهُ يُباحُ للْحائض أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ إذا خافَتْ نسْيانَهُ، بل يَجبُ؛ لأَنَّ ما لا يَتمُّ الْواجبُ إلاَّ به فَهُوَ واجبٌ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومعلوم أن النساء كن يحضن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن ينههن عن الذكر والدعاء، بل أمر الحيض أن يخرجن يوم العيد فيكبرن بتكبير المسلمين، وأن للحائض أن تؤدي المناسك كلها إلا الطوائف كما في حديث عائشة. [مجموع الفتاوى: ٤٥٩/٢١].

فكما أن للحاج أن يذكر الله ويقرأ القرآن، فكذلك الحائض لها أن تذكر الله وتقرأ القرآن. [الجامع لأحكام النساء، مصطفى العدوي: ١٨٣/١].

وأما الجنب فلم يأمره الرسول صلى الله عليه وسلم أن يشهد العيد ولا أن يصلي ولا أن يؤدي شيئًا من المناسك لأن الجنب يمكن أن يتطهر فلا عذر له في ترك الطهارة بخلاف الحائض فإن حدثها قائم لا يمكنها رفعه. [مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٥٩/٢١].

قلت: والنفس أميل إلى ما ذهب إليه ابن تيمية وأهل الظاهر، والله أعلم.

اتفق الفقهاء على حرمة اللبث في المسجد للْحائض؛ لما رُوِيَ عَن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال: «أَمَّا الْمَسْجِدُ فَلاَ أُحلُّهُ لجُنُب وَلاَ لحائض» [رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما وضعفه الألباني] قلت: وهذا حديث ضعيف لا يصلح للاحتجاج به وقالوا: وَلأَنَّ حَدَثَ الْحَيْض أَغْلَظُ منْ حَدَث الْجَنابَة، ثُمَّ كانَ نصُّ الْكتاب يَمْنَعُ الْجُنُبَ من الْمقام فيه، فَكانَت الْحائضُ مَعَ ما يُخاف تَنْجيسَ الْمَسْجد بدمها أَحَقَّ بالْمَنْع، وإذا مُنعتْ من الْمَسْجد فَهِيَ مَمْنُوعَةٌ منَ الاعْتكاف. [الحاوي للماوردي: ٣٤٦/١]. وَاتَّفَقُوا على جَواز عُبُورها للْمَسْجد دُونَ لُبْث في حالَة الضَّرُورَة وَالْعُذْر، كالْخَوْف من السَّبُع قيَاسًا عَلَى الْجُنُب لقَوْله تَعالَى: «وَلا جُنُبًا إلاَّ عَابري سَبيل»، وَاللِّصِّ وَالْبَرْد وَالْعَطَش؛ وَلأَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَ عَائشَةَ أَنْ تُناوِلَهُ الْخُمْرَةَ منَ الْمَسْجد، فَقالَتْ: إنَّها حَائضٌ، فَقَال: «إن حَيْضَتَك لَيْسَتْ في يَدك» [مسلم ٢٩٨].

وأجاز الشافعية والحنابلة للحائض والنفساء العبور في المسجد، إن أمنت تلويثه؛ لأنه يحرم تلويث المسجد بالنجاسة وغيرها من الأقذار بسبب المكث فيه؛ لأَنَّ تَلْويثَهُ بالنَّجَاسَة مُحَرَّمٌ، وَالْوَسائل لَها حُكْمُ الْمَقاصد، فعن ميمونة رضي الله عنها قالت: «تقوم إحدانا بالخُمْرة إلى المسجد، فتبسطها وهي حائض» وَيَرَى الْحَنَفيَّةُ وَالْمالكيَّةُ حُرْمَةَ دُخُولها الْمَسْجدَ مُطْلَقًا، سَواءٌ للْمُكْث أَوْ للْعُبُور، وَاسْتَثْنَى الْحَنَفيَّةُ منْ ذَلكَ دُخُولَها للطَّواف. كَما اخْتَلَفَ الْفُقَهاءُ في دُخُول الْحائض مُصَلَّى الْعيد. فَذَهَبَ الْحَنَفيَّةُ وَالشَّافعيَّةُ إلَى جَواز ذَلكَ، قَال الْحَنَفيَّةُ: وَكَذَا مُصَلَّى الْجَنازَة؛ إذْ لَيْسَ لَهُما حُكْمُ الْمَسْجد في الأَصَحِّ، وَذَهَبَ الْحَنابلَةُ إلَى حُرْمَة مُصَلَّى الْعيد عَلَيْها؛ لأَنَّهُ مَسْجدٌ، لقَوْل النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم: «وَيَعْتَزِل الْحُيَّضُ الْمُصَلَّى» [البخاري ٣٢٤]، وهو الأرجح دليلاً.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى عما تبقى مما يحرم على المرأة في الحيض.

والله تعالى أعلى وأعلم.

مشروع تيسير حفظ السنة

من صحيح الأحاديث القصار

إعداد/ علي حشيش

٢٥٤٣) عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم-: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلاَّ كَتِفُهَا. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا» (ت: ٢٤٧٠)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٤٤) عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: «لاَ يَزْنِي الْعَبْدُ حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ» (تعظيم قدر الصلاة للمروزي ٤٩٩/١ برقم ٥٤٥)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٤٥) عَنْ مُعَاذَةَ، أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: تَخْتَضِبُ الْحَائِضُ؟ فَقَالَتْ: قَدْ كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- وَنَحْنُ نَخْتَضِبُ فَلَمْ يَكُنْ يَنْهَانَا عَنْهُ (جه: ٦٥٦)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٤٦) عَنْ عَائِشَةَ - رضي الله عنها-، قَالَتْ: مَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- مَجْلِسًا قط، وَلا تَلا قُرْآنًا، وَلا صَلَّى صَلاةً إلا خَتَمَ ذَلِكَ بِكَلِمَاتٍ. فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَاكَ مَا تَجْلِسُ مَجْلِسًا، وَلا تَتْلُو قُرْآنًا، وَلا تُصَلِّي صَلاةً إلا خَتَمْتَ بِهَؤُلاءِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، مَنْ قَالَ خَيْرًا كُنَّ لَهُ طَابَعًا عَلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ، وَمَنْ قَالَ سُوءً كَانَتْ كَفَّارَةً لَهُ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، لا إِلَهَ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» (النسائي في عمل اليوم والليلة: ٣٠٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٤٧) عن عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ، وَمَا أَسْكَرَ مِنْهُ الْفَرْقُ، فَمِلْءُ الْكَفِّ مِنْهُ حَرَامٌ» (د: ٣٦٨٧)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٤٨) عن عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: كُنَّا نَخْرُجُ مَعَ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- إِلَى مَكَّةَ فَنُضَمِّدُ جِبَاهَنَا بِالسُّكِّ الْمُطَيَّبِ عِنْدَ الإِحْرَامِ، فَإِذَا عَرِقَتْ إِحْدَانَا سَالَ عَلَى وَجْهِهَا فَيَرَاهُ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- فَلاَ يَنْهَاهَا (د: ١٨٣٠)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٤٩) عن عَائِشَةَ -رضي الله عنها- تَقُولُ: كُنْتُ أَنَا وَرَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- نَبِيتُ فِي الشِّعَارِ الْوَاحِدِ وَأَنَا حَائِضٌ طَامِثٌ، فَإِنْ أَصَابَهُ مِنِّي شَيْءٌ غَسَلَ مَكَانَهُ وَلَمْ يَعْدُهُ، وَإِنْ أَصَابَ -تَعْنِي ثَوْبَهُ- مِنْهُ شَيْءٌ غَسَلَ مَكَانَهُ وَلَمْ يَعْدُهُ وَصَلَّى فِيهِ. (د: ٢١٦٦)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥٠) عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ نَكَحَتْ بِغَيْرِ إِذْنِ وَلِيِّهَا فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَنِكَاحُهَا بَاطِلٌ، فَإِنْ دَخَلَ بِهَا فَلَهَا الْمَهْرُ بِمَا اسْتَحَلَّ مِنْ فَرْجِهَا، فَإِنْ اشْتَجَرُوا فَالسُّلْطَانُ وَلِيُّ مَنْ لاَ وَلِيَّ لَهُ» (د: ٢٠٨٣)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥١) عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّهَا كَانَتْ مَعَ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- فِي سَفَرٍ قَالَتْ: فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَى رِجْلَيَّ، فَلَمَّا حَمَلْتُ اللَّحْمَ سَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَقَالَ: «هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ» (د: ٢٥٧٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥٢) عَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ تُبَايِعُ النَّبِيَّ- صلى الله

عليه وسلم- فَأَخَذَ عَلَيْهَا «أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ....» الآيَةَ قَالَتْ: فَوَضَعَتْ يَدَهَا عَلَى رَأْسِهَا حَيَاءً، فَأَعْجَبَ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- مَا رَأَى مِنْهَا، فَقَالَتْ عَائِشَةُ أَقِرِّي أَيَّتُهَا الْمَرْأَةُ فَوَاللَّهِ مَا بَايَعَنَا إِلاَّ عَلَى هَذَا. قَالَتْ: فَنَعَمْ إِذًا، فَبَايَعَهَا على الآيَةِ. (مصنف عبدالرزاق ٩٨٢٧)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥٣) عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ: «أَيُّمَا امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا، فَقَدْ هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ أَوْ سِتْرَ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ» (مصنف عبدالرزاق ١١٣٢)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥٤) عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- أَنَّ مَوْلًى لِلنَّبِيِّ مَاتَ وَتَرَكَ شَيْئًا وَلَمْ يَدَعْ وَلَدًا وَلاَ حَمِيمًا فَقَالَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم-: «أَعْطُوا مِيرَاثَهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ قَرْيَتِهِ»، وفي رواية فقَالَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم-: «هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ أَرْضِهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَأَعْطُوهُ مِيرَاثَهُ» (د: ٢٩٠٢)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥٥) عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- أَنَّهَا قَالَتْ أُتِيَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- بِظَبْيَةٍ خَرَزٍ فَقَسَمَهَا لِلْحُرَّةِ وَلِلأَمَةِ، وَقَالَتْ كَانَ أَبِي يَقْسِمُ لِلْحُرِّ وَالْعَبْدِ (حم: ٢٥٢٦٨)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥٦) عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- قَرَأَ فِي صَلاَةِ الْمَغْرِبِ بِسُورَةِ الأَعْرَافِ، فَرَّقَهَا فِي رَكْعَتَيْنِ (ن: ١٠٦٥)، وهذا حديث صحيح.

٢٥٥٧) عَنْ عَائِشَةَ-رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- كَانَ يُصَلِّي، فَأَتَاهُ الشَّيْطَانُ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَخَنَقَهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم-: «حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ لِسَانِهِ عَلَى يَدِي، وَلَوْلاَ دَعْوَةُ أَخِي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، لأَصْبَحَ مُوثَقًا حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ». (ن: ١٠٩٢٦)، وهذا حديث صحيح.

٢٥٥٨) عَنْ قُتَيْلَةَ امْرَأَةٍ مِنْ جُهَيْنَةَ أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ: إِنَّكُمْ تُنَدِّدُونَ، وَإِنَّكُمْ تُشْرِكُونَ: تَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتَ، وَتَقُولُونَ وَالْكَعْبَةِ. فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم- إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَحْلِفُوا أَنْ يَقُولُوا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَيَقُولُونَ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شِئْتَ. (س: ٣٧٧٣)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٥٩) عَنْ لَيْلَى امْرَأَةِ بَشِيرٍ تَقُولُ: إِنَّ بَشِيرًا سَأَلَ النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- أَصُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلاَ أُكَلِّمُ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَحَدًا. فَقَالَ النَّبِيُّ- صلى الله عليه وسلم-: «لاَ تَصُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلاَّ فِي أَيَّامٍ هُوَ أَحَدُهَا أَوْ فِي شَهْرٍ، وَأَمَّا أَنْ لاَ تُكَلِّمَ أَحَدًا فَلَعَمْرِي لأنْ تَكَلَّمَ بِمَعْرُوفٍ وَتَنْهَى عَنْ مُنْكَرٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَسْكُتَ». (حم ٢٢٠٠٤)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٦٠) عن أُمِّ عُمَارَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- تَوَضَّأَ فَأُتِيَ بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَدْرُ ثُلُثَيِ الْمُدِّ. (د ٩٤)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٦١) عن أُمِّ قَيْسٍ بِنْتِ مِحْصَنٍ رضي الله عنها قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ- صلى الله عليه وسلم- عَنْ دَمِ الْحَيْضِ يَكُونُ فِي الثَّوْبِ؟ قَالَ: «حُكِّيهِ بِضِلْعٍ وَاغْسِلِيهِ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ». (د ٣٦٣)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٦٢) عَنْ أُمِّ هَانِئٍ بِنْتِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنها قَالَتْ: كُنْتُ أَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ- صلى الله عليه وسلم- بِاللَّيْلِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي. (جه ١٣٤٩)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

٢٥٦٣) عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَنَا طَرِيقًا إِلَى الْمَسْجِدِ مُنْتِنَةً، فَكَيْفَ نَفْعَلُ إِذَا مُطِرْنَا؟ قَالَ: «أَلَيْسَ بَعْدَهَا طَرِيقٌ هِيَ أَطْيَبُ مِنْهَا؟» قَالَتْ: قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: «فَهَذِهِ بِهَذِهِ». (د ٣٨٤)، وهَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

حديث الشهر

أنصار السنة والانتخابات

إعداد: د/ جمال المراكبي

رئيس مجلس علماء الجماعة

www.almarakby.com

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد..

كثرت الأسئلة: لماذا تتحدث جماعة أنصار السنة المحمدية في السياسة وكانت تهجرها، ولماذا تحدثوا عن خوض الانتخابات وكانوا ينهون عنها!!

ويسعد أسرة تحرير مجلة التوحيد -في خضم الأحداث المعاصرة- أن تُطلع قراءها على دُرتين من درر تراث مجلة التوحيد، يظهر فيها دور الجماعة في المشاركة السياسية بالنصيحة والتوجيه، والحديث عن الانتخابات ما يجوز وما لا يجوز، ولعله يكون في ذلك رد على من لا يقرأ عن الجماعة من خلال مجلتها، نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بتراث علماء صالحي هذه الأمة.

الدرة الأولى: مقال لفضيلة الشيخ صفوت الشوادفي، رحمه الله، رئيس مجلة التوحيد، ونائب الرئيس العام الأسبق، بعنوان أنصار السنة والانتخابات، وقد نشرت هذه المقالة في مجلة التوحيد في عدد جمادى الآخرة ١٤٢١هـ من السنة التاسعة والعشرين.

والدرة الثانية: وكتبها الرئيس العام السابق للجماعة الدكتور جمال المراكبي في عدد رجب ١٤٢١هـ تحت عنوان «حقًا إنها أمانة».

أولاً: يقول الشيخ صفوت الشوادفي، رحمه الله: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

١- المرشحون لمجلس الشعب:

تحدث القرآن الكريم عن الشعراء، فقال الله فيهم: «أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ» [الشعراء: ٢٢٥-٢٢٦]، ثم استثنى منهم فئة قليلة صالحة.

ولو طبقت هذه الصفات على المرشحين فإنها تنطبق.

فأكثرهم في كل وادٍ وشارع وحارة يهيمون على وجوههم يخطبون وُدَّ الناخبين، وفي أثناء هذه الجولات الدعائية والمؤتمرات الكلامية يقولون ما لا يفعلون؛ حيث تكثر الوعود الكاذبة، والتأشيرات الوهمية.

ويقع بين المرشحين تنافس غير شريف يُفضي أحيانًا إلى الضرب أو الشتائم، وقد يتضاعف إلى القتل.

فإن سألت: لماذا يقتل المرشح أخاه المرشح؟

فالجواب: لكي ينفرد بشرف خدمة أبناء الدائرة!!

وكثير من هؤلاء المرشحين ينسجم في جولته مع الجماهير؛ فإذا وجد قومًا يصلون، صلى معهم، وإذا وجد غيرهم يرقصون، رقص معهم، فهو يصلي مع المصلين، ويرقص مع الراقصين، ويعزي مع المعزين، ويخوض مع الخائضين، ويأكل مع الآكلين، لكنه لا يجوع مع الجائعين، ولا يشعر بأنين



الأرامل والمساكين.

وأخيرًا: فإنه ينبغي للعقلاء أن يتفكروا؛ وأن يعرضوا الواقع على الشرع؛ فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، وما سكت عنه فهو عفو!!

٢- العمال والفلاحون:

ينقسم مجلس الشعب إلى طبقتين لا ثالث لهما:

طبقة الفئات (حملة الشهادات العليا)، وهذه الطبقة تعادل ٥٠٪ من أعضاء مجلس الشعب.

والطبقة الثانية: العمال والفلاحون، وهي تعادل ٥٠٪ من أعضاء المجلس.

وهذا التقسيم فيه ظلم كبير للفئات والعمال والفلاحين!! فعندما تكون الأمية هي السائدة، والجهل أكثر انتشارًا يكون السواد الأعظم من العمال والفلاحين ولهم نصف المقاعد فقط، وعندما نقضي على الأمية في الواقع لا على الورق! .. يتحول الشعب كله أو جله إلى فئات ولهم نصف المقاعد فقط، ومع ذلك فالمشكلة الأكثر خطرًا وضررًا هي أن مجلس الشعب- بنص الدستور- سلطة تشريعية؛ فكيف يشرع لنا من لا يفهم ديننا؟

ثم نخدع الجمهور ونقول لهم: إن الشريعة مطبقة في مصر بنسبة عالية!!

والعدل يقتضي أن تخصص نصف مقاعد مجلس الشعب لعلماء الأزهر الشريف، ونصفه للخبراء المتخصصين في جميع المجالات؛ لأن الله يقول: «فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» [الأنبياء: ٧]، وأهل الذكر هم: علماء الدين، وعلماء الدنيا، ولا يكون التشريع صوابًا أبدًا إلا بعد إقراره من علماء الدين العاملين.

نسأل الله أن يجعل قولنا وعملنا خالصًا صوابًا، والخالص ما يبتغي به العبد وجه الله، والصواب ما يكون موافقًا لشريعة الله، والله يقول الحق ويهدي السبيل، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

ثانيا: المقال الثاني: للدكتور جمال المراكبي:

والمقال الثاني: حقًا إنها أمانة.. وهو مقال نُشر في العدد الذي يليه- في عدد شهر رجب ١٤٢١هـ- كتب الدكتور جمال المراكبي، الرئيس العام السابق للجماعة بعنوان: حقًا إنها أمانة، فكتب قائلاً:

أما بعد .. فقد رحل عنا أخونا صفوت الشوادفي- رحمه الله تعالى- تاركًا لنا أمانة ثقيلة في الدعوة إلى الله تعالى، ونَشْر السنة ونبذ البدعة، وكان آخر ما نشر من كتاباته قبل موته تلك النصائح الغالية المستفادة من سُنة الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وهديه وهدي سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، ثم كانت مقالته عن أنصار السنة والانتخابات، والتي نُشرت بعد موته- رحمه الله- بيَّن فيها منهج الساعين إلى المناصب الدنيوية بكل السبل والوسائل المشروعة وغير المشروعة، وقد تناسوا عظم الأمانة التي يسعون إلى حملها وعدم قدرتهم على القيام بأعبائها، وكأن الشيخ رحمه الله يوصينا قبل أن يودعنا، وينصحنا حتى لا ننخدع، ويحذرنا منهج الذين لا يعلمون، ولا يقيمون لهذه الأمانة وزنًا، فتكون العاقبة خزيًا وندامة.

حقًا إنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلا من كان أهلاً لها فأخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها بتوفيق الله ومعونته.



لقد كانت نصيحةُ النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر الغفاري- وقد جاء طالبًا الولاية، طامعًا في عطاء النبي صلى الله عليه وسلم نصيحةَ محب صادق حريص على من يحب، فقال له: «يا أبا ذر، إني أراك ضعيفًا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين، ولا تولين مال يتيم».. «إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامة، إلا من أخذها بحقها، وأدى الذي عليه فيها». [صحيح مسلم- ك الإمارة (ح١٨٢٥، ١٨٢٦)].

إن غياب الضوابط الشرعية عن المرشحين للمجالس النيابية وعن الناخبين الذين يختارون من يمثل الأمة ظاهرة خطيرة، وقد جعلها النبي صلى الله عليه وسلم نذيرًا لقرب قيام القيامة وزوال الدنيا؛ لأنها تمثل ضياعًا للأمانة، فقال: «إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة». قالوا: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِّدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». [البخاري- ك العلم (٥٩)].

وبهذا تضيع الأمانة، وتنزع من القلوب نزعًا، «ينام الرجل النومة فتُنزع الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوَكْت، ثم ينام الرجل النومة فتنزع الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المَجْل: كجمر دحرجته على رِجْلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، حتى يُقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، وحتى يقال للرجل: ما أعقله! ما أجلده! ما أظرفه! وما في قلبه مثقالُ حبة خردل من إيمان». [متفق عليه].

«فلا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له». [أحمد (ج٣، ١٣٥، ١٥٤)].

وجوب تولية- اختيار- الأصلح:

إن أبسط الضوابط التي ينبغي للأمة أن تراعيها عند الاختيار وجوب تولية الأصلح والأقدر على تحمل أعباء الولاية، وهذا يغيب عن معظم المرشحين، وأكثر الناخبين، فنرى ذلك التنافس الشديد والحرص على الوصول للمنصب بشتى الوسائل المشروعة وغير المشروعة، ببذل الأموال، وتكثيف الدعايات، وخداع البسطاء من الناخبين، واستجداء أصواتهم، ومثل هذا التنافس لا يفرز دائمًا أصلح الأشخاص في ظل غياب الوعي الديني والثقافة النافعة، فينسى المرشحون أنها أمانة عظيمة سيُسألون عنها أمام الله تعالى، وأنها خزي وندامة في الدنيا والآخرة على من أخذها بغير حقها، ولم يؤد ما وجب عليه فيها.

لأجل هذا أقول للمرشحين للمجلس النيابي ونحن على أبواب الانتخابات: اتقوا الله فيما أنتم مقدمون عليه، ألا تعلمون أنكم ستقومون على وظيفة التشريع وسَنّ القوانين، وأنكم ستُسألون أمام الله تعالى عن كل تشريع يخالف شرع الله تعالى، فاتقوا الله في دينه وشريعته، واتقوا الله في الأمة التي اختارتكم، ولا تحيدوا عن شريعة الله تعالى، واذكروا قول الله تعالى: «أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» [المائدة: ٥٠].

«إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا (٥٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ



وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً » [النساء: ٥٨- ٥٩] . « فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا » [النساء: ٦٥] .

إن مدار الصلاحية لأي منصب على القوة والأمانة، القوة على تحمل أعباء المنصب والقيام عليه على الوجه اللائق، والأمانة التي تجعلك تؤدي إلى كل ذي حق حقه، ويدخل في هذا العلم بحدود المنصب أو الولاية، والعلم بشريعة الله وما تحكم الناس به، ثم القدرة على القيام بهذه الأعباء، والاستعانة بالأمناء الأقوياء من أهل العلم والتخصص، ثم مراعاة العدالة لإيصال الحقوق إلى أربابها دون مجاملة أو محاباة .

قال يوسف عليه السلام لملك مصر وقد جاء منقذًا: « اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ » [يوسف: ٥٥]، فكانت مؤهلاته في علمه وحفظه وأمانته وقوته . وقالت المرأة الصالحة لأبيها: « يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ » [القصص: ٢٦].

وأقول للناخبين: احرصوا على اختيار من ترونه صالحًا قادرًا على القيام بأعباء النيابة، وإياكم والتعصب لأحد، لأجل قرابة أو صلة أو لأهواء النفس؛ لأنكم توليتم عملية الانتخاب والاختيار: « ومن ولي من أمر المسلمين شيئًا فولَّى رجلاً وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » [أخرجه الحاكم ٧٠٢٣ وضعفه الألباني] .

واعلموا أن من أعظم الخيانة: أن تختاروا الرجل لأجل الدنيا والمنافع الخاصة: « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم- منهم-: رجل بايع إمامًا لا يبايعه إلا لدنيا، فإن أعطاه منها وفَى، وإن لم يعط منها لم يفِ » . [متفق عليه].

فيا ليت كل إنسان يدخل في هذا الأمر ينظر جيدًا إلى نفسه ليرى مواطن القوة والضعف فيها، فإن كان من الأمناء الأقوياء الحافظين العلماء تقدم مستعينًا بالله، وإلا نأى بنفسه عن السقوط في هاوية الظلم والخيانة . ويا ليت كل واحد منا يعرف كيف يميِّز الأمناء الأقوياء فيختار منهم لا من غيرهم؛ رعايةً لمصالح الأمة.

طالب الولاية لا يُوَلَّى:

ومن الضوابط الشرعية أيضًا أن طالب الولاية لا يولى؛ لأن طالب الولاية حريص عليها، يسعى لتحقيق المكاسب الشخصية من ورائها، ولا يلقي بالاً للأعباء التي سيقوم بها، وللأمانة التي ستكون في عنقه، ولهذا نراه ينفق الأموال الطائلة في سبيل الوصول إلى غرضه، ويبذل الوعود الكاذبة يخدع بها الناس، فإذا وصل إلى غايته كان همَّه تعويض ما أنفقه وتحصيل كل كسب ممكن .

أما من يدرك عظم الأمانة، ويفكر في أعبائها، ويخشى ألا يكون قادرًا عليها ولا يزاحم غيره في طلبها؛ فإنه يكون أقدر الناس على تحمُّل عبئها، وأبعدهم عن الطمع في مكاسبها، ومثل هذا يُعينه الله ويوفقه ويسدد خطاه.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة: « يا عبدالرحمن، لا تسأل الإمارة، فإنك إن أُعطيتها عن مسألة وُكلت إليها، وإن أعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها » [متفق عليه].



وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إنا لا نولي هذا الأمر مَن سأله ولا من حرص

عليه». [متفق عليه].

محاسبة الولاة والعمال:

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحاسب الولاة على ما قدموا حسابًا دقيقًا، وكذلك كان الخلفاء الراشدون يحاسبون الولاة، فلا يسمحون لهم بممارسة التجارة والتربح على حساب الولاية، ولا يُقرّونهم على قبول الهدايا، ويحسبون عليهم أموالهم قبل الولاية وبعدها؛ لمنعهم من الإثراء غير المشروع، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم للوالي الذي قَبِلَ الهدية وأرادها لنفسه: « فَهَلاَّ جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ أَوْ بَيْتِ أُمِّهِ فَيَنْظُرَ يُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ؟» [متفق عليه] وكان عمر رضي الله عنه يقول للوالي: «إنما بعثناك واليًا ولم نبعثك تاجرًا».

وأخيرًا أقول لمن قدر الله لهم النجاح في الانتخابات، ولكل ولاة الأمور: اعلموا أنكم أُجَراء تعملون في مصالح الرعية، ولذا يجب عليكم أن تلينوا لهم الجانب وترفقوا بهم، اخفضوا الجناح لهم، ولا تتعالوا عليهم، ولا تغلقوا الأبواب دونهم، وابذلوا كل الجهد في النصح لهم، والعدل بينهم، واعلموا أنكم إن فعلتم ذلك تبتغون به وجه الله وترجون ثوابه، كان ذلك سبيلكم إلى الجنة، وإن ضيعتم وقصرتم كان ذلك سبيلكم إلى النار، وتذكروا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من عبدٍ استرعاه الله رعيةً فلم يحطها بنصيحة إلا لم يجد رائحة الجنة» [البخاري ٧١٥٠] . «ما من والٍ يلي رعيةً من المسلمين فيموت وهو غاشٌ لهم إلا حرم الله عليه الجنة» . [البخاري ٧١٥١].

احذروا بطانة السوء:

واحذروا بطانة السوء، والمنافقين الذين يمتدحونكم في وجوهكم ويثنون على أعمالكم ما دمتم في مناصبكم، فإذا أدرتم وجوهكم عنهم، سلقوكم بألسنة حداد، ونالوا من أعراضكم .

وعليكم بأهل العلم والتقوى والورع فاقبلوا منهم واعملوا بنصحهم، وأحسنوا إليهم، واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصمه الله تعالى». [البخاري ٧١٩٨].

وختامًا.. اعلم أيها القارئ العزيز أن الناس إذا أعرضوا عن ضوابط الشرع وأحكامه، وخاضوا في هذه الأمور بغير وازع من دين أو ضمير، فلا خير فيهم ولا في مشاركتهم، فلا تكن معهم على منكر تعارفوا عليه، وأْمُرْهم بالمعروف وشاركهم فيه، وإلا فعليك بخاصة نفسك كما قال تعالى: «عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» [المائدة: ١٠٥] .

وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيت الناس قد مرجت عهودهم وخَفَّتْ أماناتهم، وكانوا هكذا» - وشبك بين أصابعه- قالوا: فما المخرج من ذلك؟ قال: «تأخذون ما تعرفون، وتدعون ما تنكرون، وتقبلون على أمر خاصتكم- أي أهل السنة والعلم- وتدعون أمر العامة». [أبو داود ٤٣٤٢ وصححه الألباني].

فخذ ما تعرف، ودع ما تنكر، وعليك بأمر خاصة نفسك، ودع عنك أمر العامة، والزم بيتك حال الفتن.



نسأل الله أن يعصمنا من الزيغ والضلالة، وأن يعيننا على أداء الأمانة. إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وآله وصحبه.

تذكير الأحباب

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد..

فقد خلق الله سبحانه وتعالى الإنسان لعبادته، وخلق له الأرض واستخلفه فيها، وهيَّأ له الأجواء المناسبة لمعيشته، وأمره سبحانه وتعالى أن يتوكل عليه، فقال تعالى: «وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [المائدة:٢٣]، وقد قال العلماء: تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، أي حصر التوكل على الله فقط دون سواه؛ لأن التوكل عمل قلبي لا يجوز صرفه لغير الله.

والتوكل على الله يعني أن يأخذ الإنسان بالأسباب ولا يتركها، ولا يعتقد فيها، فالأخذ بالأسباب من تمام التوكل على العزيز الوهاب، وترك الأسباب نقصٌ في العقل وطعنٌ في الشرع، والاعتقاد فيها شركٌ بالله.

أولاً: الأخذ بالأسباب:

أ- تعريف الأسباب: جمع سبب وهو كل شيء يُتوصل به إلى غيره.

ب- كل شيء بسبب: دل القرآن على أن كل شيء يحدث بسبب، سواء كان هذا الحدث يتعلق بالإنسان، أو بالجماد، أو بالنبات، أو بالحيوان، أو بالأجرام السماوية، أو الظواهر الكونية المادية المختلفة، فقانون السببية (أي ربط المسببات بأسبابها، والنتائج بمقدماتها)، هذا القانون عامّ شامل لكل ما في العالم، ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب، والله خالق الأسباب والمسببات». اهـ. وقد قال العلماء: إن الله إذا أراد شيئًا هيَّأ له أسبابه.

جـ- الدليل على الأخذ بالأسباب:

الدليل من القرآن الكريم:

١- قال الله تعالى: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبَبًا» [الكهف:٨٥].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من كل شيء علمًا يتسبب به إلى ما يريد»، وقال الحسن: «بلاغًا إلى حيث أراد»، «فَأَتْبَعَ سَبَبًا» [الكهف: ٨٥] أي: اتبع سببًا من الأسباب التي أوتيها.

٢- قال تعالى حاكيًا عن يوسف عليه السلام: «وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» [يوسف:٤٢]، أي: قال للذي أيقن أنه ناجٍ من السجن وهو ساقي الملك: اذكر ما رأيته، وما أنا عليه من عبارة الرؤيا للملك، وأخبره أني مظلوم محبوس بلا ذنب. فهذا يدل على أن يوسف عليه السلام أخذ بأسباب النجاة من السجن.

٣- قال تعالى حاكيًا عن مريم عليها السلام: «وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا» [مريم:٢٥]. فهذه الآية تدل على الأمر بالأخذ بالأسباب لعدة أمور:

أولاً: حالة مريم - عليها السلام - والتي وصفها الله - سبحانه وتعالى - بقوله: «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ» [مريم:٢٣]، أي اضطرها المخاض، وهو الطلق وشدة الولادة وأوجاعها، إلى جذع النخلة.

ثانيًا: كان الله قادرًا سبحانه على أن يُسقط الرطب على مريم دون أن تمسّ جذع النخلة، فهو الذي كان يسوق لها رزقها من غير تَكَسُّبٍ منها؛

بالأخذ بالأسباب

إعداد المستشار/ أحمد السيد علي

لقوله تعالى: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» [آل عمران: ٣٧]، ولكنه سبحانه هنا يأمرها بالأخذ بالأسباب ووضع يدها على الجذع حتى يتساقط الرطب.

الدليل من السنة:

١- عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لو أنكم توكلتم على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا». [الترمذي ٢٣٤٤ وصححه الألباني]. فالتوكل يكون مع السعي والأخذ بالأسباب، ولذلك جاء التعبير بذهاب الطير في الصباح؛ طلبًا للرزق، وهي خاوية البطون، وعودتها في المساء وهي ممتلئة البطون، ولم يقل صلى الله عليه وسلم: إن الطير تمكث في أعشاشها فيأتيها رزقها من غير سعي أو كد أو تعب، بل إن التشبه بالطير، وهو مخلوق ضعيف يدل على أمرين:

الأول: أن أقل الأسباب تؤدي إلى تحقيق المقصود بإذن الله.

الثاني: ألا يقصد المؤمن في طلب الرزق جهة معينة؛ إذ ليس للطائر جهة معينة.

٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز». [مسلم ٢٦٦٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: في هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»: أمرٌ بالتسبب المأمور به، وهو الحرص على المنافع وأمرٌ مع ذلك بالتوكل، وهو الاستعانة بالله، فمن اكتفى بأحدهما فقد عصى أحد الأمرين. اهـ.

د- لا بد لعمل الأسباب من تحقق الشروط وانتفاء الموانع: ليكن معلومًا أن السبب إنما يستوجب مسببه إذا توافرت شروطه، أي إذا تحققت شروطه وفاعليته واستدعاؤه لمسببه، كما لا بُدَّ من انتفاء موانعه أي انتفاء الموانع التي تعوق عمل هذا السبب أو تسلبه فاعليته، بحيث يصبح غير قادر على استدعاء مسببه، فالأكل مثلاً سبب للغذاء والشبع واستدامة الحياة، ولكن بشرط سلامة أعضاء الإنسان الضرورية لتلقي الطعام والاستفادة منه وانتفاء الموانع، أي انتفاء العوائق التي تعوق عمل هذه الأعضاء في انتفاعها من الأكل.

هـ- نوعا الأسباب: الأسباب نوعان:

أسباب دنيوية وأسباب دينية، فالدنيوية هي التي تؤدي إلى مقصود دنيوي: مثل الأكل سبب يؤدي إلى الشبع، والدينية هي التي تؤدي إلى مقصود شرعي ديني مثل الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة.

و- أقسام الأسباب:

تنقسم الأسباب إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: سبب يؤدي إلى نتيجة بصورة ظاهرة، مثل الزواج والجماع سبب للإنجاب، ومثل المذاكرة سبب للنجاح، فهذه أسباب ظاهرة؛ أي: ملموسة ومشاهدة.

القسم الثاني: سبب يؤدي إلى نتيجة بصورة

غير ظاهرة، أي غير ملموسة أو محسوسة، ومثاله: صلة الرحم تؤدي إلى زيادة الرزق وطول العمر؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يُبسط عليه في رزقه، ويُنْسأ له في أثره، فليصل رحمه». [أبو داود ١٦٩٣ وصححه الألباني].

القسم الثالث: أسباب جُعلَتْ بواسطة الناس، ورتبوا عليها نتائج دون أن يأتيهم في ذلك برهان من الله أو من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يجوز اعتبارها أسبابًا تؤدي إلى نتائج، ومثال ذلك ما انتشر بين الناس من أن خرأ طائر على ثيابه فسوف يكسي، ومن رأى رغوة مجتمعة فوق الشاي فسوف يأتيه مال، فتفاءلوا بأسباب لم يأت عليها دليل، ثم إنهم تشاءموا بأسباب أيضًا ما أنزل الله بها من سلطان، مثل البوم والحذاء المقلوب، وهذا لا يجوز؛ لأنها ليست بأسباب.

ز- كيفية معرفة كون الشيء سببًا: الأسباب الدنيوية تُعرف بالمشاهدة والتجربة فالوقود سبب في تسيير المركبات، أما الأسباب الشرعية فتعرف عن طريق الدليل من قرآن أو سنة، ومن ثم فلا يجوز التعبد لله عز وجل بالبدع إذ أنها ليست بأسباب شرعية توصل إلى مرضاة الله؛ لكون العبادات مبناها على التوقف لقوله تعالى: «أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» [الشورى:٢١]، ولقوله صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد». [رواه مسلم].

كما أنه لا يجوز الأخذ بأسباب حرم الله عز وجل الأخذ بها، فالربا سبب لتكثير المال، ولكنه سبب محرم؛ لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» [البقر:٢٧٨]، والزنا سبب من أسباب الإنجاب إلا أنه سبب محرم ألغاه الشارع بقوله تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا» [الإسرا:٣٢]، فالإنسان قد يتوهم أنه بحلق لحيته ومسايرته للآخرين فيما يفعلونه قد حفظ نفسه، وهذا غير صحيح؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «احفظ الله يحفظك». [رواه الترمذي وصححه الألباني].

فحفظ المسلم لله سبب لحفظ الله له وليست معصية المسلم لله سبباً لحفظ الله ومن ثم فالغاية لا تبرر الوسيلة بل الوسائل لها أحكام المقاصد.

ثانيًا: عدم جواز ترك الأخذ بالأسباب:

لا يجوز للمسلم أن يترك الأخذ بالأسباب بالكلية إذ أن هذا قدح في الربوبية ونقص في العقل وطعن في الشرع:

أ- الدليل على ذلك:

١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة». فقال رجل: يا رسول الله، أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة». فقال: «اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فيُيسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ: «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى» [رواه مسلم].

قال النووي رحمه الله: في هذا الحديث النهي عن ترك العمل والاتكال على ما سبق به القدر، بل تجب الأعمال التكاليف التي ورد الشرع بها وكل ميسر لما خلق له لا يقدر على غيره. اهـ

٢- أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله لقي ناسًا من أهل اليمن فقال: من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون. قال: بل أنتم المتواكلون. إنما المتوكل الذي يلقي حبة في الأرض ويتوكل على الله.

٣- وعنه أيضًا أنه كان يقول: لا يقعد أحدكم

عن طلب الرزق ويقول: اللهم ارزقني فإن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة.

٤- ما ذكره العلماء من أن التواكل ليس من أوصاف المسلمين، وضربوا لذلك مثلاً برجل جائع محتاج إلى الطعام والطعام موجود أمامه وبين يديه، ولكنه لم يمد إليه يديه ويقول أنا متوكل. فقالوا: الأولى بهذا أن يكون مجنونًا فهل ينتظر أن يخلق الله فيه شبعًا بدون أكل؟ أو يخلق الله في الخبز حركة ينتقل بها إلى معدته؟ أو يسخر الله له ملكًا يمضغ له الطعام. ويوصله إلى معدته؟ إذا كان هذا ظنه فقد جهل سنة الله في خلقه وأصبح حاله كحال من يمتنع عن زراعة أرضه، ويطمع أن يخلق الله فيها نباتًا.

ب- شبهات والرد عليها:

١- الأسباب والقضاء والقدر: قد يرى البعض إسقاط الأسباب وعدم مباشرتها بحجة الإيمان بالقضاء والقدر كأن يترك الإنسان العمل وغيره من أسباب الرزق بحجة أنه إذا كان الله قد قدر له رزقًا فلا بد أن يأتيه ويحصل عليه عَمِلَ أو لم يعمل.

الرد على هذه الشبهة: هذا الاحتجاج من قبيل التوهم، وهو مردود بالحديث السابق ذكره، وفيه: «اعملوا فكل ميسر».

٢- الأسباب والتوكل: زعم البعض أن من تمام التوكل ترك الأسباب.

الرد على هذه الشبهة: أن هذا الزعم غير صحيح، ويرد عليه بقوله صلى الله عليه وسلم: «اعقلها وتوكل» [الترمذي ٢٥١٧ وحسنه الألباني].

وقد قال ابن تيمية رحمه الله في رده على هذا القول: «وهذا القول وأمثاله من قلة العلم بسنة الله في خلقه وأمره فإن الله تعالى خلق المخلوقات بأسباب وشرع للعباد أسبابًا ينالون بها مغفرته ورحمته وثوابه في الدنيا والآخرة، فمن ظن أنه بمجرد توكله مع تركه ما أمره الله به من الأسباب يحصل مطلوبه وأن المطالب لا تتوقف على الأسباب التي جعلها الله أسبابًا لها فهو غالط». اهـ.

٣- أن الأسباب لا تؤدي إلى مسبباتها بذاتها: فقد يقال: إن السبب وإن كان صحيحًا وتامًا فليس من المحتم أن يستوجب مسببه مما يدل على أن المسبب لا يحدث بالسبب، وإنما قد يحدث عنده، ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل». مع قوله تعالى: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [النحل:٣٢]. فدل على أن المسبب لا يحصل بالسبب بل عنده.

ويرد على هذه الشبهة: أن الباء في قوله تعالى: «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» [النحل:٣٢]. هي باء السببية، فالأعمال الصالحة هي سبب دخول الجنة، واستوجبتها بوعد الله وسنته، فالمعنى: ادخلوا الجنة بسبب أعمالكم والذي نفاه النبي صلى الله عليه وسلم هو باء المقابلة أو المعاوضة، فليس العمل عوضًا ولا ثمنًا كافيًا لدخول الجنة، بل لا بد من عفو الله وفضله ورحمته.

د- ملحوظة: قد يترك العبد الأخذ بالأسباب الشرعية متعللاً بأفعال الآخرين؛ كأن تترك المرأة المسلمة لبس النقاب بدعوى أن هناك منتقبات لا يعملن بالنقاب، أو يترك الرجل إطلاق لحيته بدعوى وجود ملتحين عاصين، وهذا لا يجوز؛ إذ أن هذه الأسباب وغيرها لا يجوز تركها؛ لأن فاعلها يتقرب بها لله، فكما أنه لا يوجد عاقل يقول بترك استخدام السكاكين وهي أسباب للقطع والذبح لاستخدام البعض لها في معصية الله، وكذلك ترك السيارات وهي أسباب للانتقال بدعوى كثيرة حوادثها وقتلاها، فكذلك لا يجوز ترك الأسباب الشرعية بدعوى إساءة البعض استخدامها.

وللحديث بقية إن شاء الله. والحمد لله رب العالمين.

آداب حرية

الحلقة الأولى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

لقد جاء الإسلام والناس في شتى أنحاء الأرض محكومون بنُظم وقوانين وضعية، قد حرمتهم من كثير من حقوقهم المشروعة في الحياة؛ لأنها قوانين بشرية وُضعت لخدمة الطبقة الحاكمة للسيطرة على الحكم والمال بالقوة، ومن أهم هذه الحقوق التي حُرموا منها: حق إبداء الرأي والتعبير.

ولكن الإسلام جاء رحمة للعالمين، قد منحهم هذا الحق وعلَّمهم آداب هذه الحق.

أولاً: حق حرية الرأي والتعبير:

الله عز وجل هو الذي خلق الإنسان، وهو الذي شرع له المنهج، وهو سبحانه الذي يعلم حاجة الناس جميعًا ومصالحهم في حياتهم أفرادًا وجماعات، ومن ثَم جاءت حرية الرأي والتعبير في الإسلام من أهم حقوق الإنسان في حياته تشريعًا وتطبيقًا، باعتباره أساس الحريات كلها؛ إذ لا قيمة لتقرير أي حق من حقوق الإنسان، دون أن يكون هذا الإنسان محررًا من خوف التعبير عما في نفسه والمطالبة بحقه، ولذا حرص الإسلام على أن يهيأ المجتمع كي يمارس كل إنسان فيه حقه في التعبير والنقد دونما خوف، ما دام ملتزمًا بالآداب الشريعة، وبما يكفل المصالح العامة للأمة، ومعالم هذا النهج تتحدد بالآتي:

١- نهي الإسلام عن الاستبداد:

إذا كانت الحرية تنمّي القوى والمواهب، وبها تكون الفضائل كالصدق والشجاعة والنصيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالاستبداد هو معتقل كل هذه الفضائل؛ لأن الإنسان مع الاستبداد يُجرَّد من أهم خصائصه كإنسان، وهو شعوره بأنه مخلوق مكلَّف مسئول، فيغدو تابعًا ذليلاً، عاجزًا عن أن يبين عما في نفسه، ولذا كان كبت الحريات وتكميم الأفواه وحجزها عن التعبير، هو دأب الظالمين على مر العصور؛ لاستعباد الإنسان، وإلغاء مشروعية أيّ رأي معارض، أو لتجريد الإنسان من إنسانيته، ومن هنا شنَّ الإسلام حملة ضد الاستبداد بكل صوره وأشكاله، وعرض القرآن الكريم نماذج شتى تصف أحوال المستبدين، وتصوِّر مصارعهم، وكيف كان الاستبداد على رأس الأسباب التي أدت إلى خراب ديارهم وتقويض سلطانهم.

ولعل قصة موسى عليه السلام مع فرعون هي أكثر القصص التي وردت في القرآن تجسِّد عاقبة الاستبداد.

ففرعون علا في الأرض، وتجاوز كل حدٍ في الطغيان فأذل المستضعفين، وروَّض شعبه سنين عددًا على أنْ يألفوا الذل والاستعباد،

الرأي والتعبير

إعداد/ سعيد عامر
أمين عام لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

حتى لا ينازع السلطان: «إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ» [القصص: ٤].

ولا يمكن أن يصل الاستبداد بإنسان إلى هذه الدرجة إلا إذا وجد له من يعاونه على استبداده من ناحية، وخنوعًا جماهيريًا وتخاذلاً من ناحية أخرى، قال الله عز وجل: «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» [الزخرف: ٥٤].

وهل هناك استهانة بهم وبعقولهم أكبر من أن يقول لهم: «يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي» [القصص: ٣٨]، «أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي» [الزخرف: ٥١]، «مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ» [غافر: ٢٩]، «وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ» [غافر: ٢٦].

ولما وصلوا إلى هذه الدرجة من الغفلة والسذاجة وعدم الوعي: عمَّهم الله جميعًا - فرعون وآله ومعاونيه وجنوده - بالعقاب الأليم، وجعلهم عبرةً ومثلاً لمن جاء بعدهم: «فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ» [الزخرف: ٥٥، ٥٦].

«آسفونا»: أغضبونا أشد الغضب، جعلناهم سلفًا يتبعه كل خلف ظالم، ومثلاً للآخرين الذين يجيئون بعدهم، يعرفون قصتهم فيعتبرون، «وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ» [الأعراف: ١٣٧].

«كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦) وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ (٢٧) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ» [الدخان: ٢٥- ٢٨].

وفرعون نفسه طُرحت جثته على اليم ولم تأكلها كائنات البحر، والهدف واضح: «فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ» [يونس: ٩٢].

فكل من أعان طاغية أو أسلم له القياد، فحوَّله إلى مستبد كبير، حاق به ما حاق بالطاغية نفسه من سوء العذاب في الدنيا والآخرة.

٢- أمر الإسلام بتبليغ الدعوة إلى الله بإخلاص وحرية:

الدعوة إلى الله لا تنطلق ولا يتأتى لها أن تؤتي ثمارها في ظل الكبت والحرمان، أو في المجتمعات التي لم تمنح أبناءها هذا الحق،

لقد حمل رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوة الإسلام، وانطلق بها في كل مكان يمكن أن يصل إليه يدعو الناس إلى هذا الدين الخاتم؛ ليخرجهم الله به من الظلمات إلى النور، ومن الشرك إلى التوحيد والهداية.

ولقد وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبل الصفا ونادى قريشًا وأخبرهم أنه رسول الله إليهم.

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى: يا صباحاه، فاجتمعت إليه قريش، وهم يومئذ لا يتهمونه بالكذب، بل كانوا يلقبونه بالصادق الأمين، فقال: «أرأيتكم إن حدثتكم أن العدو مُصَبّحكم أو مُمَسّيكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟ تبًا لك، فأنزل الله تعالى: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ» [المسد: ١ - ٥]. [البخاري ٤٩٧٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يذهب إلى أسواق عكاظ وذي المجنة وذي المجاز، وهي أسواق قريش آنذاك، يدعو الناس إلى هذا الدين ويقول: «أيها الناس، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا» [رواه الحاكم ٤٢١٩ وصححه ووافقه الذهبي].

وكان صلى الله عليه وسلم يذهب إلى القبائل في أماكنهم يدعوهم إلى توحيد الله عز وجل وإلى الإسلام ويقرأ عليهم القرآن، ولكنهم كانوا يردون عليه ردًا غليظًا فيه جفوة له وإيذاء لمشاعره، وظل رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا لا يألو جهدًا في تبليغ رسالة الله إلى العالمين حتى سمعت العرب كلها بالإسلام، ودانت له الجزيرة العربية، ثم انتقلت الدعوة خارج الجزيرة إلى فارس والروم حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرسل لهم كتبه ورسله يدعوهم إلى الإسلام.

ثم حمل أصحابه من بعده هذه الدعوة إلى العالم في كل مكان شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا؛ حتى سمعت الدنيا كلها بالإسلام، فدخل فيه من وفَّقه الله وهداه عن رضا وقناعة، وضل من ضل: «فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ» [النحل: ٣٦].

والمسلمون في كل مكان وزمان مأمورون بتبليغ هذه الرسالة إلى الناس كافة: «وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ» [الأنعام: ١٩].

وقال الربيع بن أنس: حق على من اتبع رسول الله أن يدعو كالذي دعا رسول الله، وأن ينذر كالذي أنذر.

واستمرت بفضل الله مسيرة الدعوة إلى هذا الدين طوال القرون الماضية لم تنقطع، يذهب الدعاة إلى دول العالم المختلفة يدعون الناس إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبينون لهم ما في القرآن والسنة من هدي عظيم وتشريع حكيم، قال الله تعالى: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» [النحل: ٤٤]، والعلماء هم ورثة الأنبياء في حمل الدعوة وتبليغها إلى الناس كافة.

وفي عصرنا الحاضر لا تزال مسيرة الدعوة مستمرة، وستبقى بإذن الله وتوفيقه، بل إنها أصبحت بفضل الله ميسورة بعد التقنية

الحديثة في وسائل الاتصال، تصل إلى أي مكان في العالم عن طريق الفضائيات بيسر وسهولة، وشبكة الإنترنت العالمية، فلولا أن حرية الرأي والتعبير حق مشروع في الإسلام من أول الأمر لما بلغت دعوته ما بلغت، وما سمع الناس بها في كل زمان ومكان، ولهذا يدخل كثير من غير المسلمين في الإسلام بحرية واختيار وقناعة بعد أن وصل إليهم غير مشوّه أو محرَّف، فعرفوه بيسره وسماحته.

وقد كرر الله تعالى في كتابه: «لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ» [البقرة: ٢٥٦]، وقال أيضًا: «وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ» [الكهف: ٢٩]، فقد جعل الله الدخول في الدين والإيمان به بالاختيار لا بالإكراه، ولهذا خاطب رسوله صلى الله عليه وسلم: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» [يونس: ٩٩].

ولذلك ليس من حق الدعاة إلى الله تعالى أن يُكرهوا أحدًا على الدخول في الإسلام، فليست تلك مهمته، إنما مهمته الهداية والتذكير والبلاغ عن الله عز وجل، ولذلك قال الله لنبيه: «وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» [الشورى: ٥٢]، «فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ» [الغاشية: ٢١، ٢٢]، «مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ» [المائدة: ٩٩].

وهذا كله يعني أنه قد منح الحرية الكاملة للناس حتى في أهم شيء في الحياة وهو الإيمان بالله عز وجل، جعله الله باختيار الإنسان نفسه؛ لأن الله يحب من خلقه أن يؤمنوا به طواعية لا كرهًا، وأن يعبدوه محبين مقتنعين؛ لأنه الخالق المنعم المتفضل عليهم بجميع نعمه ما ظهر منها وما بطن.

فإذا كان الإسلام قد منحهم الحرية المطلقة في القمة الإيمانية، فمن باب أولى أنه قد منحهم الحرية فيما هو أقل من ذلك، وهي حرية الإرادة والتعبير عما يجول بخواطرهم، ولذا علم الإنسان لغة التخاطب ليكون من مهامها أن يعبّر بها عما يريد: «الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» [الرحمن: ١- ٤].

وجعل الله حرية الرأي للإنسان مظهرًا من مظاهر تكريمه وتفضيله على كثير ممن خلق، لقد قرر الإسلام للإنسان هذا الحق أيًا كانت عقيدته ووطنه ليعلن رأيه فيما يراه ويجول بخاطره في مجتمعه وفي العالم من حوله.

وحين سلب الإنسان هذا الحق يستوي مع غيره من المخلوقات الجامدة، ولك أن تتصور حياة الإنسان أو المجتمع الذي سُلب منه حق من أهم حقوقه، وهو حقه في إبداء رأيه في الحياة والأحياء، إنها حياة الكبت والحرمان، التي مرت بكثير من الشعوب في عهود الظلام التي عاشوها في ظل القهر والاستعباد.

إن حرية الرأي هي التي تمكّن أصحابها خاصة الدعاة إلى الله من عرض الحجج الدامغة وبيان الأدلة القاطعة لكشف الحقيقة أمام الناس، ولتعين المنصفين على إحقاق الحق وإبطال الباطل، وهكذا جعل الإسلام حرية الرأي والتعبير وسيلة لإعلان الدعوة ونشرها بين العالمين.

وللحديث بقية إن شاء الله، وصلى الله على محمد وآله وسلم، والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

النجاةُ في الاستقامة

قال تعالى: «فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٢) وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَاء ثُمَّ لاَ تُنصَرُونَ» [هود: ١١٢-١١٣].

من فضائل الصحابة

السلامة في اتباع الصحابة

عن حذيفة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وما حدثكم ابن مسعود فاقبلوه».

[صحيح الجامع للألباني ١١٤٣]

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

تصالح مع هؤلاء قبل فوات الأوان

عن بكار بن عبدالعزيز عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل ذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا البغي (أي الظلم) وعقوق الوالدين أو قطيعة الرحم، يعجّل لصاحبها في الدنيا قبل الموت».

[صحيح الأدب المفرد للألباني ٥٩١]

من جوامع الأدعية

عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَأَسْأَلُكَ عَزِيمَةَ الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ، وَالصَّبْرَ عَلَى بَلائِكَ، وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا سَلِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ» [أخرجه أحمد والنسائي١٣٠٤ وصححه ابن حبان].

من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم

إخبار ذراع الشاة إياه أنه مسموم

عَنْ أَبِي سَلَمَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقْبَلُ الْهَدِيَّةَ وَلاَ يَأْكُلُ الصَّدَقَةَ. زَادَ: فَأَهْدَتْ لَهُ يَهُودِيَّةٌ بِخَيْبَرَ شَاةً مَصْلِيَّةً (أي مشوية) سَمَّتْهَا، فَأَكَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْهَا وَأَكَلَ الْقَوْمُ، فَقَالَ: «ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ؛ فَإِنَّهَا (أي الشاة) أَخْبَرَتْنِي أَنَّهَا مَسْمُومَةٌ». فَمَاتَ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ الأَنْصَارِيُّ، فَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ: «مَا حَمَلَكِ عَلَى الَّذِي صَنَعْتِ». قَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ الَّذِي صَنَعْتُ، وَإِنْ كُنْتَ مَلِكًا أَرَحْتُ النَّاسَ مِنْكَ» [أبو داود ٤٥١٢ وصححه الألباني]

من أقوال السلف

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: يا أيها الناس من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم. قال الله تعالى لنبيه: «قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» [متفق عليه].

وعن أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه قال: عليكم بالسبيل والسُّنَّة، فإن اقتصادًا في سبيل الله وسُنَّة: خيرٌ من اجتهاد في خلاف سبيل الله وسُنَّة (أي عمل قليل موافق للكتاب والسنة خير من جبال من الأعمال على غير الكتاب والسنة). [الاعتصام للشاطبي].

إعداد/ علاء خضر

من حكمة الشعر

قال الشاعر في ذم التقاتل على الولاية والحكم والذي هو من مصلحة الأعداء-واللهم سلّم بلاد المسلمين-:

أمن السياسة أن يُقتّل بعضُنا
بعضاً ليدرك غيرُنا الآمالا؟
أَوَ كلما طمعَ القويُّ شراهةً
أكلَ الضعيفَ تحيفاً واغتالا

أحوال الناس مع التوبة

عن ابن السماك-رحمه الله- قال:
أصبحت الخليقة على ثلاثة أصناف:
صنف من الذنب تائب، موطن لنفسه على هجران ذنبه، لا يريد أن يرجع إلى شيء من سيئاته، هذا المبرز.
وصنف يذنب ثم يندم، ويذنب ويحزن، ويذنب ويبكي، هذا يُرجى له ويُخاف عليه.
وصنف يذنب ولا يندم، ويذنب ولا يحزن، ويذنب ولا يبكي، فهذا الكائن الحائد عن طريق الجنة إلى النار. [شعب الإيمان].

رؤية شخصية عن مكانة الأزهر

للأزهر الشريف مكانة عظيمة في قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها مع ما مر به من أزمات، فإن إصلاحه الآن- كخطوة مبدئية نحو التمكين- يزيد في هذه المكانة وإن توحد القيادات الدينية في مصر تحت مظلة الأزهر الشريف يزيد الإسلام قوة وصلابة ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج، بل قد يكون أقوى وأفضل من إنشاء أحزاب سياسية دينية، ويذكر لنا التاريخ كيف كان للأزهر شعبيته التي كُسرت دونها أي زعامات سياسية.

حكم ومواعظ

عن معاذ رضي الله عنه قال: إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة، السر بالسر، والعلانية بالعلانية.

عن أحمد بن إسحاق بن منصور قال: سمعت أبي يقول لأحمد بن حنبل: ما حُسن الخلق؟ قال: هو أن تحتمل ما يكون من الناس.

الرجوع إلى الله يصلح حكام المسلمين!

قال ابن القيم-رحمه الله-: عن مالك بن دينار قال: قرأت في الحكمة: يقول الله عز وجل: أنا الله، مالك الملوك، قلوب الملوك بيدي، فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة، ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بسبِّ الملوك، ولكن توبوا إليَّ أعطفهم عليكم.

وفي مراسيل الحسن: إذا أراد الله بقوم خيرًا جعل أمرهم إلى حلمائهم وفيئهم عند سمحائهم، وإذا أراد بقوم شرًا جعل أمرهم إلى سفهائهم وفيئهم عند بخلائهم. [الجواب الكافي].

من مواقف الأزهر

قامت الحكومة البريطانية بالضغط على الحكومة المصرية للاشتراك في الحرب العالمية الثانية، وخطب الشيخ المراغي قائلاً: «نسأل الله أن يجنبنا ويلات حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل». وغضبت بريطانيا، وقابل رئيس الوزراء الشيخ المراغي، واشتد في لهجة رئيس الوزراء تهديدًا، فقال له: أمثلك يهدد شيخ الأزهر! إن شيخ الأزهر أقوى بمركزه ونفوذه من رئيس الحكومة، ولو شئت لارتقيت المنبر وأثرت الجماهير، ولوجدت نفسك إنسانًا معزولاً في هذا الشعب.

توحيد رب العالمين

قال الله تعالى: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» [النور: ٥٥].

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابُهُ الْمَدِينَةَ وَآوَتْهُمُ الْأَنْصَارُ رَمَتْهُمُ الْعَرَبُ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، كَانُوا لَا يَبِيتُونَ إِلَّا بِالسِّلَاحِ، وَلَا يُصْبِحُونَ إِلَّا فِيهِ، فَقَالُوا: تَرَوْنَ نَعِيشُ حَتَّى نَبِيتَ آمِنِينَ مُطْمَئِنِّينَ لَا نَخَافُ إِلَّا اللهَ؟! فَنَزَلَتْ «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ». [الحاكم (٢/ ٤٠١) وصححه ووافقه الذهبي].

ذلك وعد الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، أن يستخلفهم في الأرض، وأن يمكّن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وأن يبدلهم من بعد خوفهم أمنًا. ذلك وعد الله، ووعد الله حق، ووعد الله واقع، ولن يخلف الله وعده. فما حقيقة ذلك الإيمان؟ وما حقيقة الصالحات؟

إن حقيقة الإيمان التي يتحقق بها وعد الله حقيقة ضخمة، تستغرق النشاط الإنساني كله، وتوجّه النشاط الإنساني كله، فما تكاد تستقر في القلب حتى تعلن عن نفسها في صورة عمل ونشاط، وبناء وإنشاء، موجّه كله إلى الله؛ لا يبتغي به صاحبه إلا وجه الله، وهي طاعة لله واستسلام لأمره في الصغيرة والكبيرة، لا يبقى معها هوى في النفس، ولا شهوة في القلب، ولا ميل في الفطرة، إلا وهو تبع لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله.

فهو الإيمان الذي يستغرق الإنسان كله، بخواطر نفسه، وخلجات قلبه. وأشواق روحه، وميول فطرته، وحركات جسمه، ولفتات جوارحه، وسلوكه مع ربه في أهله ومع الناس جميعًا، يتوجه بهذا كله إلى الله، يتمثل هذا في قول الله سبحانه في الآية نفسها تعليلاً للاستخلاف والتمكين والأمن: «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» [النور: ٥٥]، والشرك مداخل وألوان، والتوجه إلى غير الله بعمل أو شعور هو لون من ألوان الشرك بالله.

ذلك الإيمان منهج حياة كامل، يتضمن كل ما أمر الله به، ويدخل فيما أمر الله به توفير الأسباب، وإعداد العدة، والأخذ بالوسائل، والتهيؤ لحمل الأمانة الكبرى في الأرض، أمانة الاستخلاف. [في ظلال القرآن(٦/ ١١٨)].

تلك هي حقيقة الإيمان:

وأما الصالحات فهي جمع صالحة: وهي الأعمال التي وصفها الشرع بأنها صلاح، وترك الأعمال التي وصفها الشرع بأنها فساد؛ لأن إبطال الفساد صلاح.

والتعريف في «الصَّالِحَاتِ» للاستغراق، أي عملوا معظم الصالحات ومهماتها ومراجعها

هو سبب الأمن والتمكين

إعداد:
د/ عبدالعظيم بدوي
نائب الرئيس العام

مما يعود إلى تحقيق كليات الشريعة، وحتى تجري حالة مجتمع الأمة على مسلك الاستقامة، وذلك يحصل بالاستقامة في الخويصة، وبحسن التصرف في العلاقة المدنية بين الأمة على حسب ما أمر به الدين أفراد الأمة، كلّ فيما هو من عمل أمثاله، الخليفة فمن دونه، وذلك في غالب أحوال تصرفاتهم، ولا التفات إلى الفلتات المناقضة، فإنها معفو عنها إذا لم يُسترسل عليها، وإذا ما وقع السعي في تداركها.

والاستقامة في الخُويصة هي موجب هذا الوعد وهي الإيمان وقواعد الإسلام، والاستقامة في المعاملة هي التي بها تيسير سبب الموعود به.

وقد بيَّن الله تعالى أصول انتظام أمور الأمة في تضاعيف كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، مثل قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» [النحل: ٩٠]، وقوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ» [النساء: ٢٩]، وقوله في سياق الذم: «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ» [البقرة: ٢٠٥]، وقوله: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ» [محمد: ٢٢].

وبيَّن الرسول صلى الله عليه وسلم تصرفات ولاة الأمور في شؤون الرعية ومع أهل الذمة ومع الأعداء في الغزو والصلح والمهادنة والمعاهدة، وبين أصول المعاملات بين الناس.

فمتى اهتم ولاة الأمور وعموم الأمة باتباع ما وضّح لهم الشرع تحقق وعد الله إياهم بهذا الوعد الجليل.

وهذه التكاليف التي جعلها الله قوامًا لصلاح أمور الأمة، ووعد عليها بإعطاء الخلافة والتمكين والأمن، صارت بترتيب تلك الموعدة عليها أسبابًا لها، وكانت الموعدة كالمسبب عليها، فشابهت من هذه الحالة خطاب الوضع، وجُعل الإيمان عمودها، وشرطًا للخروج من عهدة التكليف بها، وتوثيقًا لحصول آثارها، بأن جعله جالب رضاه وعنايته، فبه يتيسر للأمة تناول أسباب النجاح، وبه يحف اللطف الإلهي بالأمة في أطوار مزاولتها واستجلابها، بحيث يدفع عنهم العراقيل والموانع، وربما حفّ بهم اللطف والعناية عند تقصيرهم في القيام بها، وعند تخليطهم الصلاح بالفساد فرفق بهم، ولم يعجّل لهم الشر، وتلوّم لهم في إنزال العقوبة. وقد أشار إلى هذا قوله تعالى: «وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلاَغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦) وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٥- ١٠٧] يريد بذلك كله المسلمين. [التحرير والتنوير(١٨/ ٢٨٣)].

وقد تضمنت الآية الكريمة ثلاثة وعود: الأول: «لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ»، الثاني: «وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ»، الثالث: «وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا».

فما حقيقة الاستخلاف في الأرض؟

إنها ليست مجرد الملك والقهر والغلبة والحكم، إنما هي هذا كله على شرط استخدامه في الإصلاح والتعمير والبناء، وتحقيق المنهج الذي رسمه الله للبشرية كي تسير عليه؛ وتصل عن طريقه إلى مستوى الكمال المقدر لها في الأرض، اللائق بخليقة أكرمها الله.

إن الاستخلاف في الأرض قدرة على العمارة والإصلاح، لا على الهدم والإفساد، وقدرة على تحقيق العدل والطمأنينة، لا على الظلم والقهر، وقدرة على الارتفاع بالنفس البشرية والنظام البشري، لا على الانحدار بالفرد والجماعة إلى مدارج الحيوان!

وهذا الاستخلاف هو الذي وعده الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات. وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض كما استخلف المؤمنين الصالحين قبلهم ليحققوا النهج الذي أراده الله، ويقرروا العدل الذي أراده الله، ويسيروا بالبشرية خطوات في طريق الكمال المقدر لها يوم أنشأها الله.

فأما الذين يملكون فيفسدون في الأرض، وينشرون فيها البغي والجور، وينحدرون بها إلى مدارج الحيوان، فهؤلاء ليسوا مستخلفين في الأرض، إنما هم مبتلون بما هم فيه، أو مبتلى بهم غيرهم، ممن يسلطون عليهم لحكمة يقدرها الله.

آية هذا الفهم لحقيقة الاستخلاف قوله تعالى بعده: «وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ»، وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب، كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها، فقد وعدهم الله إذن أن يستخلفهم في الأرض، وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض، ودينهم يأمر بالإصلاح، ويأمر بالعدل، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض، ويأمر بعمارة هذه الأرض، والانتفاع بكل ما أودعها الله من ثروة، ومن رصيد، ومن طاقة، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله. [في ظلال القرآن(٦/ ١١٨)].

«وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ» عطف على «لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ»، والكلام فيه كالكلام فيه، وتأخيره عنه مع كونه أجل الرغائب الموعودة وأعظمها لما أنه كالأثر للاستخلاف المذكور.

وقيل: لما أن النفوس إلى الحظوظ العاجلة أميل، فتصدير المواعيد بها في الاستمالة أدخل، والتمكين في الأصل جعل الشيء في مكان، ثم استعمل في لازمه وهو التثبيت، والمعنى: ليجعلن دينهم ثابتاً مقررًا، بأن يعلي سبحانه شأنه، ويقوي بتأييده تعالى أركانه، ويعظم أهله في نفوس أعدائهم الذين يستغرقون النهار والليل في التدبير لإطفاء أنواره، ويستنهضون الرجال والخيل للتوصل إلى إعفاء آثاره، فيكونون بحيث ييأسون من التجمع لتفريقهم عنه ليذهب من البين، ولا تكاد تحدثهم أنفسهم بالحيلولة بينهم وبينه ليعود أثرًا بعد عين.

وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح للمسارعة إلى بيان كون الموعود من منافعهم مع التشويق إلى المؤخر، ولأن في توسيطه بينه وبين وصفه، أعني قوله تعالى: «الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ»، وتأخيره عن الوصف من الإخلال بجزالة

النظم الكريم ما لا يخفى، وفي إضافة الدين وهو دين الإسلام إليهم، ثم وصفه بارتضائه لهم من مزيد الترغيب فيه والتثبيت عليه. [روح المعاني(١٨ /٢٠٨)].

وتمكين الدين: انتشاره في القبائل والأمم وكثرة متبعيه. استعير التمكين الذي حقيقته التثبيت والترسيخ لمعنى الشيوع والانتشار؛ لأنه إذا انتشر لم يخش عليه الانعدام، فكان كالشيء المثبَّت المرسَّخ، وإذا كان متَّبعوه في قلة كان كالشيء المضطرب المتزلزل. وهذا الوعد هو الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة، منها حديث ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا». [مسلم ٢٨٨٩].

وقوله: «لَهُمْ» مقتضى الظاهر فيه أن يكون بعد قوله: «دِينَهُمْ»؛ لأن المجرور بالحرف أضعف تعلقًا من مفعول الفعل، فقدم «لَهُمْ» عليه للإيماء إلى العناية بهم، أي بكون التمكين لأجلهم، كتقديم المجرور على المفعولين في قوله: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ» [الشرح: ١- ٢].

وإضافة الدين إلى ضميرهم لتشريفهم به، لأنه دين الله، كما دل عليه قوله عقبه: «الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ»، أي الذي اختاره ليكون دينهم، فيقتضي ذلك أنه اختارهم أيضاً ليكونوا أتباع هذا الدين. وفيه إشارة إلى أن الموصوفين بهذه الصلة هم الذين ينشرون هذا الدين في الأمم؛ لأنه دينهم فيكون تمكنه في الناس بواسطتهم.

وإنما قال: «وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا» ولم يقل: وليؤمننهم، كما قال في سابقَيْه؛ لأنهم ما كانوا يطمحون يومئذ إلا إلى الأمن، كما ورد في حديث أبي العالية المتقدم آنفًا، فكانوا في حالة هي ضد الأمن، ولو أعطوا الأمن دون أن يكونوا في حالة خوف لكان الأمن منّة واحدة. وإضافة الخوف إلى ضميرهم للإشارة إلى أنه خوف معروف مقرر.

وتنكير «أَمْنًا» للتعظيم، بقرينة كونه مبدَلاً من بعد خوفهم المعروف بالشدة. والمقصود: الأمن من أعدائهم المشركين والمنافقين. وفيه بشارة بأن الله مزيل الشرك والنفاق من الأمة. [التحرير والتنوير(١٨/ ٢٨٧)].

قَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ- رَحِمَهُ اللهُ-: قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذِهِ الآيَةُ وَعْدٌ حَقٌّ، وَقَوْلٌ صِدْقٌ، يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَى صِحَّةِ إمَامَةِ الْخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ، لأَنَّهُ لَمْ يَتَقَدَّمْهُمْ أَحَدٌ فِي الْفَضِيلَةِ إلَى يَوْمِنَا هَذَا، فَأُولَئِكَ مَقْطُوعٌ بِإِمَامَتِهِمْ، مُتَّفَقٌ عَلَيْهِمْ.

وَصَدَقَ وَعْدُ اللهِ فِيهِمْ، وَكَانُوا عَلَى الدِّينِ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ، وَاسْتَقَرَّ الأَمْرُ لَهُمْ، وَقَامُوا بِسِيَاسَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَذَبُّوا عَنْ حَوْزَةِ الدِّينِ، فَنَفَذَ الْوَعْدُ فِيهِمْ، وَصَدَقَ الْكَلامُ فِيهِمْ، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَعْدُ بِهِمْ يَنْجَزْ، وَفِيهِمْ نَفَذَ، وَعَلَيْهِمْ وَرَدَ، فَفِيمَنْ يَكُونُ إذَنْ؟ وَلَيْسَ بَعْدَهُمْ مِثْلُهُمْ إلَى يَوْمِنَا هَذَا، وَلا يَكُونُ فِيمَا بَعْدَهُ.

قَامَ أَبُو بَكْرٍ بِدَعْوَةِ الْحَقِّ، وَاتِّفَاقِ الْخَلْقِ، وَوَاضِحِ الْحُجَّةِ، وَبُرْهَانِ الدِّينِ، وَأَدِلَّةِ الْيَقِينِ، فَبَايَعَهُ الصَّحَابَةُ، ثُمَّ اُسْتُخْلِفَ عُمَرُ فَلَزِمَتْ الْخِلافَةُ، وَوَجَبَتْ النِّيَابَةُ، وَتَعَيَّنَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، ثُمَّ جَعَلَهَا عُمَرُ شُورَى، فَصَارَتْ لِعُثْمَانَ بِالنَّظَرِ الصَّحِيحِ، وَالتَّبْجِيلِ الصَّرِيحِ، وَالْمَسَاقِ الْفَسِيحِ، جَعَلَ الثَّلاثَةَ أَمْرَهُمْ إلَى ثَلاثَةٍ، ثُمَّ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ نَفْسَهُ بِشَرْطِ أَنْ يَكُونَ إلَى مَنْ اخْتَارَهُ مِنْ

الرَّجُلَيْن، فَاخْتَارَ عُثْمَانَ، وَمَا عَدَلَ عَنْ الْخِيَار، وَقَدَّمَهُ وَحَقُّهُ التَّقْدِيمُ عَلَى عَلِيٍّ.

ثُمَّ قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُومًا فِي نَفْسِه، مَظْلُومًا جَمِيعُ الْخَلْقِ فِيه، فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَلِيٌّ، أَخْذًا بِالْأَفْضَل فَالْأَفْضَل، وَانْتِقَالًا مِنْ الْأَوَّلِ إِلَى الْأَوَّل، فَلَا إِشْكَالَ لِمَنْ جَنَفَ عَنْ الْمُحَال، أَنَّ التَّنْزِيلَ عَلَى هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعَةِ وَعْدُ اللهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ. [أحكام القرآن لابن العربي(٣/ ١٣٩٢)].

وقال ابن كثير- رَحِمَهُ اللهُ-: روى مسلم عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «لَا يَزَالُ أَمْرُ النَّاسِ مَاضِيًا مَا وَلِيَهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ» [مسلم ١٨٢١].

وهذا الحديث فيه دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادل، وليسوا هم بأئمة الشيعة الاثني عشر، فإن كثيرًا من أولئك لم يكن إليهم من الأمر شيء، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش، يَلُون فيعدلون. وقد وقعت البشارة بهم في الكتب المتقدمة، ثم لا يشترط أن يكون متتابعين، بل يكون وجودهم في الأمة متتابعًا ومتفرقًا، وقد وُجد منهم أربعة على الولاء، وهم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، رضي الله عنهم. ثم كانت بعدهم فترة، ثم وُجِد منهم ما شاء الله، ثم قد يُوجَد منهم مَن بقي في وقت يعلمه الله. ومنهم المهدي الذي يطابق اسمُه اسمَ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكنيته كنيته، يملأ الأرض عدلاً وقسطًا، كما ملئت جورًا وظلمًا. [تفسير القرآن العظيم (٣/ ٣٠١)].

وهكذا تحقق وعد الله، وظل متحققًا وواقعًا ما قام المسلمون على شرط الله: «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا» لا من الآلهة ولا من الشهوات، ويؤمنون ويعملون صالحًا، ووعد الله مذخور لكل من يقوم على شرطه من هذه الأمة إلى يوم القيامة. إنما يبطئ النصر والاستخلاف والتمكين والأمن؛ لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة، أو في تكليف من تكاليفه الضخمة، حتى إذا انتفعت الأمة بالبلاء، وجازت الابتلاء، وخافت فطلبت الأمن، وذلت فطلبت العزة، وتخلفت فطلبت الاستخلاف، كل ذلك بوسائله التي أرادها الله، وبشروطه التي قررها الله، تحقق وعد الله الذي لا يتخلف، ولا تقف في طريقه قوة من قوى الأرض جميعًا.

إن الإسلام حقيقة ضخمة لا بد أن يتأملها من يريد الوصول إلى حقيقة وعد الله في تلك الآيات، ولا بد أن يبحث عن مصداقها في تاريخ الحياة البشرية، وهو يدرك شروطها على حقيقتها، قبل أن يتشكك فيها أو يرتاب، أو يستبطئ وقوعها في حالة من الحالات.

إنه ما من مرة سارت هذه الأمة على نهج الله، وحكّمت هذا النهج في الحياة، وارتضته في كل أمورها، إلا تحقق وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن. وما من مرة خالفت عن هذا النهج إلا تخلّفت في ذيل القافلة، وذلت، وطرد دينها من الهيمنة على البشرية، واستبد بها الخوف، وتخطفها.

ألا وإن وعد الله قائم. ألا وإن شرط الله معروف. فمن شاء الوعد فليقم بالشرط، «يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا». [في ظلال القرآن ٦/ ١٢٠و١٢١].

والحمد لله رب العالمين.



وقرآن الفجر

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وبعدُ:

فإن المسلم مأمور أن يأخذ بكل ما أمر الله به، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، قال سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً» [البقرة: ٢٠٨].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدِّقين لرسوله أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره؛ ما استطاعوا من ذلك».

وإن مما أمر الله به عباده: المحافظة على الصلاة، قال سبحانه: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ» [البقرة: ٢٣٨]، ومما لا يخفى أنها خمس صلوات أمر الله بها المسلم في يومه وليلته، من أهمها صلاة الفجر.

إعداد/ أحمد يوسف عبدالمجيد

وقد بيَّن الشرع الحنيف ما لصلاة الفجر من منزلة، وما للمحافظة عليها من أجر عظيم، فمن ذلك أن الله أقسم بها، وافتتح بها سورة من كتابه، فقال سبحانه: «وَالْفَجْرِ» [الفجر: ١]. قال أبو السعود في تفسيره: «أقسم سبحانه بالفجر كما أقسم بالصبح؛ حيث قال: «وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ» [التكوير: ١٨]، وقيل: المراد به صلاته. وقال الشيخ السعدي: أقسم تعالى بالفجر الذي هو آخر الليل ومقدمة النهار؛ لما في إدبار الليل وإقبال النهار من الآيات الدالة على كمال قدرة الله تعالى، وأنه وحده المدبِّر لجميع الأمور الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ويقع في الفجر صلاة فاضلة معظَّمة يُقسم الله بها.

كما أشار جل ذكره إلى صلاة الفجر في قوله سبحانه: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» [الإسراء: ٧٨]. قال الإمام البقاعي عند تفسيره لهذه الآية: «ولما كان القيام من المنام صعبًا علل مُرغبًا، مظهرًا غير مضمر؛ لأن المقام مقام تعظيم، فقال تعالى: «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» [الإسراء: ٧٨]. يشهده فريقا الملائكة وهو أهل لأن يشهده كل أحد؛ لما له من لذة في السمع وسعادة في القلب وسكينة للروح.

روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «تَفْضُلُ صَلَاةُ الْجَمِيعِ صَلَاةَ أَحَدِكُمْ وَحْدَهُ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا، وَتَجْتَمِعُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ». ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» [الإسراء: ٧٨]. [البخاري ٦٤٨]، هذه صلاة الفجر التي ينام عنها الكثير من المسلمين، فيُحْرَمُون شهود صلاة أقسم الله بها؛ لمنزلتها، ويُحْرَمُون بذلك شهادة ملائكة الليل والنهار لهم عند الله تعالى.

وروى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي

الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم ربهم (وهو أعلم) كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: أتيناهم وهم يصلون، وتركناهم وهم يصلون» [متفق عليه].

قال الإمام النووي رحمه الله: وأما اجتماعهم في الفجر والعصر فهو من لطف الله تعالى بعباده المؤمنين، وتكرمة لهم أن جعل اجتماع الملائكة عندهم، ومفارقتهم في أوقات عبادتهم واجتماعهم على طاعة ربهم فتكون شهادتهم لهم بما شاهدوا من الخير.

فيا أيها النائم عن صلاة الفجر، ألا تُحب أن يكون لك النور الذي تسعى به على الصراط يوم أن يُعْطَى كل واحد نوره حسب عمله. قال سبحانه: «يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ» [الحديد: ١٢].

قال ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مخبرًا عن المؤمنين المتصدقين أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة بحسب أعمالهم. كما نقل ابن كثير عن الطبري قوله: قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في قوله: «يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ». قال: على قدر أعمالهم يجرون على الصراط، فمنهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا من نوره في إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة.

وقد بشَّر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث بريدة الأسلمي المحافظ على صلاة الفجر بالنور التام الذي يسعى به على الصراط؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم: «بشِّر المشائين في الظُّلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة». [أبو داود والترمذي ٢٢٣ وابن ماجه وغيرهم، وصححه الألباني].

ولا يتأتى النور يوم القيامة إلا إذا رُزق العبد النور في الدنيا، وصلاة الفجر من أعظم أسباب الخروج من الفتن، كما أن المحافظ عليها يتأسى بفعل النبي صلى الله عليه وسلم في سؤال الله تعالى النور، فعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صلاة الفجر، وهو يقول: «اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل في سمعي نورًا، واجعل في بصري نورًا، واجعل من خلفي نورًا، ومن أمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا، ومن تحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا» [مسلم ١٩٠].

فيا من حالت الدنيا بينه وبين صلاة الفجر، قال من بعثه الله رحمة للعالمين: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها». [مسلم ٧٢٥].

قال أهل العلم: إن هاتين الركعتين هما سُنَّة الفجر، وقد ورد عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن على شيء من النوافل أشد منه تعاهدًا على ركعتي الفجر. [البخاري ١١٦٩].

أيها المصلي بعد طلوع الشمس، أتدري ما السبب في نومك؟ إنه الشيطان الذي بال في أذنيك. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم رَجُلٌ نَامَ لَيْلَهُ حَتَّى أَصْبَحَ -يعني لم يصل الفجر-، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنَيْهِ، أَوْ قَالَ فِي أُذُنِهِ». [البخاري ٣٢٧٠].

فيا من بال الشيطان كثيرًا في أذنيه استعن بالله، واسأله أن يعينك لتقوم لصلاة الفجر، فكم من موفَّق يعمل في أعمال شاقة ولا ينام إلا

قليلاً وهو حريص على صلاة الفجر في جماعة، أحرص من كثير من المترفين الذين لا يحلو لهم النوم إلا ساعة الفجر.

ولو يعلم النائم عن صلاة الفجر في جماعة منزلة هذه الصلاة، وهو لا يستطيع السير على قدميه، لزحف على يديه ورجليه؛ لما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التهجير (التبكير) لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العتمة (العشاء) والصبح لأتوهما ولو حبوًا». [متفق عليه].

قال النووي: الحبو: حبو الصبي الصغير على يديه ورجليه، ومعناه: لو يعلمون ما فيهما من الفضل والخير ثم لم يستطيعوا الإتيان إليهما إلا حبوًا، لَحَبَوْا إليهما، ولم يفوّتوا صلاتهما في المسجد، ففيه الحثّ للجميع على حضورهما.

فيا من يطمع في الجنة لينعم فيها بسدر مخضوض وطلع منضود، وظل ممدود وماء مسكوب، وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، وفرش مرفوعة عليك بالمحافظة على صلاة الفجر والعشاء في جماعة المسجد. قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى البردين دخل الجنة». [متفق عليه].

عِظَم حرمان المضيع لصلاة الفجر:

هل يعلم النائم عن صلاة الفجر أنه يحرم نفسه من النظر إلى وجه الله الكريم، فعن جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم، فنظر إلى القمر ليلة - يعني البدر - فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»، ثم قرأ: «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» [طه: ١٣٠]. [متفق عليه].

قال ابن حجر رحمه الله: تُضامون بضم أوله لا يحصل لكم ضَيْم حينئذ، ورُوي بفتح أوله، والمراد نفي الازدحام.

فيا من لا يستطيع قيام الليل، قم لصلاة الفجر لتحصل بإذن الله على أجر القيام، ففي حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الفجر في جماعة فكأنما قام الليل كله». [مسلم ٦٥٦].

فبادر يا عبدالله بالمحافظة على الصلاة في وقتها، فقد سأل عبدالله بن مسعود رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة على وقتها». [متفق عليه].

واحذر أن تكون ممن قال الله فيهم: «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» [مريم: ٥٩]. قال صاحب البحر المحيط: إضاعة الصلاة تأخيرها عن وقتها، وقيل: إقامتها في غير الجماعات، وقيل: تعطيل المساجد والانشغال بالضائع. وفي تفسير قوله تعالى: «فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ» [الماعون: ٤]. قال صاحب زاد المسير نقلاً عن ابن مسعود: والله ما تركوها ألبتة، ولو تركوها ألبتة كانوا كفارًا، ولكن تركوا المحافظة على أوقاتها.

فيا عبدالله، استعن بالله، وكن صادق النية والعزم، سائلاً الله الإخلاص، فهذه من خير الوسائل للقيام لصلاة الفجر.

نسأل الله أن يجعلنا من الذين «هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» [الأنعام: ٩٢].

والحمد لله رب العالمين.

لماذا التوحيد؟

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد.. يمكن للقارئ الكريم أن يلمح من اسم المجلة الغاية النبيلة من إصدارها، والقصد الجليل من ظهورها، والهدف الأسمى الذي ترجو أن يتحقق بانتشارها، وهو إعلان الناس أن القرآن روح الإسلام، وأن التوحيد روح القرآن، وأن مجتمعًا بغير قرآن كالجسد بغير روح، وأن الجسد بغير روح لا يصدر عنه إلا العفن والنتن، وأن بطن الأرض أولى به من ظهرها، فالأمة بغير قرآن أمة متهالكة ومتفرقة؛ تشتّت شملها، وتفرّق جَمْعها، وتمزق صفّها، وهانت كرامتها، وضاعت عزتها، ومزّقتها الأهواء والشهوات والأغراض كل ممزق.

أما التوحيد فهو الهدف من إرسال الرسل ونزول الكتب، بل هو الهدف من خلق الإنسان والجان، وفي هذا يقول الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» [الذاريات:٥٧، ٥٨].

والتوحيد هو قلب القرآن فإذا فسد القلب توقفت ضرباته، وسكنت نبضاته وضاع الإيمان وهلك الإنسان، وفي هذا يقول الله تعالى لأشرف خلقه وخاتم رسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [الزمر:٦٥].

ومن ثم فإن جماعة أنصار السنة المحمدية تركِّز في دعوتها على التوحيد؛ لأن التوحيد يمنح المسلمَ مفتاحَ الحكمة، ويرقى به في معارج السمو، ويفتح له أبواب الكمال، فلا يتصرف إلا بهدي القرآن، ولا يسعى إلا بنوره، ولا يقتدي إلا برسول الله عليه الصلاة والسلام، ولا ينطق إلا بالصدق، ولا يتكلم إلا بالحق، ولا يتعامل مع زوجه وأولاده وعشيرته ووطنه وولي الأمر في بلده إلا بالإخلاص، حتى اللفظة يحسب حسابها، وحتى اللفتة يخشى خطرها؛ لأنه قد أدرك بالتوحيد أن الله وحده هو الذي يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور.

والتوحيد مَدْعَاة للعزة، فهو يأمر المسلم ألا يذلَّ لأحد سوى الله، وأن يعلم أن الغيب لله، فلا يكتب الحجاب، ولا يفتح الكتاب، ولا يقبّل الأحجار والأعتاب، والتوحيد يدعو المسلم إلى معرفة الله في أسمائه وصفاته؛ كيما يدرك أنه وحده الملك كما يقول جل شأنه: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [آل عمران:٢٦].

فإذا كان الله وحده هو الملك، فمن ذا الذي يتصرف في ملكه من نبي أو ولي أو شيخ؟!! ومن ذا الذي يتصرف في قوة أو ضعف؟! أو حياة أو موت؟! أو عز وذل؟! أو غنى وفقر؟! أو حياة وموت؟!

للشيخ/ رشاد الشافعي، رحمه الله
الرئيس العام الأسبق لجماعة أنصار السنة المحمدية

أو سعة في الرزق أو تقتير فيه، إلا الله الملك؟!

والتوحيد هو عبادة الله الواحد، والإيمان به وحده لا شريك له، وأن الحُكْم له بوصفه الملك؛ فلا تستقر الأمور ولا تستقيم الأوضاع، ولا تسمو الأخلاق، ولا ينتصر الحق ويسود العدل، ولا يهدأ الاضطراب، ولا يسكن القلق إلا إذا رضي الملك، ولا يرضى الملك إلا إذا حُكِّمَ، وحكمُه وتشريعُه العدلُ، ودستورُه الخيرُ والبرُّ، وكتابُه النورُ، وسُنة رسوله صلى الله عليه وسلم هي الحكمة، وقانونه ونظامه الصدقُ، والهدى خير الهدى والإصلاح عين الإصلاح لا يكون إلا منه سبحانه.

وهو - أي التوحيد - يحفظ على المسلم إنسانيته، ويصون كرامته، فلا يَذِلّ للحجر، ولا يتبرك بالشجر، ولا يطوف بمقصورات الموتى، ولا يطلب النصرة إلا من الله، ولا يسأل إلا إياه، ولا يستعين إلا به، ولا يضرع إلا إليه وحده؛ لأن الله يقول وقوله الحق: «تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [الملك:١]، ومن ثم يأخذ المسلم أُهبته ويعُدّ عُدّته لمجابهة مشكلات الحياة وصروف الدهر في أناة وحزم وصبر وعزم، ويسلك السنن الكونية التي أمر الله بها في كتابه، والتزمها الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته وسلوكه.

فإذا كان حاكمًا التزم العدلَ، ونبذ الظلمَ، وجعل الرحمةَ فوق العدل، والكرمَ فوق الرحمة، وبذا يستقيم له الأمر، ويثبت له السلطان في الأرض.

وإذا كان تاجرًا وجب أن يصدق الوعدَ، وأن يوفي بالعهد، وأن يقيم الوزن بالقسط ولا يخسر الميزان فزعًا وفرَقًا من قوله تعالى: «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ» [المطففين:١]، وبهذا تنمو ثروته وتربح تجارته.

وإذا كان موظفًا التزم الأمانة، ونبذ الخيانة ويسَّر على الناس أحوالَهم، وهوَّن عليهم أمورَهم، وصرَّف لهم شئونهم، فيرقى بذلك درجات عند الله، ويستولي على قلوب الناس، فتنطلق ألسنتُهم له بالدعاء والثناء، وإن كان عاملاً أحسن عملَه، وأتقن صنعتَه، ووفَّى لصاحب العمل حقَّه؛ تنفيذًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه» [البيهقي في شعب الإيمان (٥٣١٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٣ / ١٠٦].

وإذا كان فلاحًا أو زارعَ أرض، فلح أرضه، وزرع حقله، وأحسن صنعه؛ متوكلاً على الله مؤمنًا بقوله تعالى في سورة الواقعة: «أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ» [الواقعة:٦٣، ٦٤]، فلا يلبث الزرع أن يبلغ نماءه حتى يسارع بإخراج زكاته؛ تنفيذًا لأمر الله عز وجل: «وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ» [الأنعام:١٤١].

والقائد في جنده، والوالد في أهله وولده، والزوجة في بيتها، والغني في ماله، والموظف في ديوانه، كُلٌّ يخشى الله في تصرفاته، ويرقبه في كل أحواله، ويخافه في تدبير أموره، ويتقيه؛ طمعًا في رحمته، وخوفًا من عذابه؛ فتستقيم الأمور، وتصلح الأعمال، وتطيب الأقوال، والله يقول: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ» [فاطر:١٠].

وفوق هذا، فإن تحقيق لا إله إلا الله تعدل السماوات والأرض وعامرهن غير الله، كما ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال

موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك وأدعوك به. قال: قل يا موسى: لا إله إلا الله. قال: يا رب كل عبادك يقول هذا. قال: يا موسى، لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة، مالت بهن لا إله إلا الله». [الحاكم ١٤٨٠ وضعفه الألباني].

عن أنس بن مالك رضي الله قال: شُجّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وكُسرت رباعيته، فقال: كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، فنزل قول الله تعالى: «لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ» [آل عمران:١٢٨]. [متفق عليه].

وقضية التوحيد إذا أثيرت وشابها شيء من الشرك، فإننا نرى غضب الله سبحانه يبدو أشد ما يكون وأوضح ما يكون، وإذا شئت فاقرأ قوله تعالى من سورة المائدة: «قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا» [المائدة:١٧].

ويتجلى ذلك أيضًا حينما تسمع القرآن الكريم وهو يعلن أن الله يغفر الذنوب جميعًا إلا الشرك فيقول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» [النساء:٤٨].

وقال تعالى: «وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» [الزمر: ٦٥]

فهذا إغلاظ في القول وعنف في الخطاب لأكرم خلق الله على الله ومصطفاه: محمد صلى الله عليه وسلم وللناس جميعًا؛ لأن التوحيد أخطر القضايا فهو قاعدة الانطلاق إلى البر والخير والهدى، والصلاح والإصلاح، والمودة والألفة، والوفاء والوئام، والمحبة والأخوة والسلام، وإذا انتفى التوحيد واستعلن الشرك، فالشر والضرّ والعقوق، والعبث والبغي والعَسَف والخسف، والكذب والفحش والغش والطغيان والظلم، وكل الموبقات، ومن بعد ذلك نَذْر لوليٍّ أو عَهْد من شيخ كفيل بتكفير تلك الذنوب!!!! وهذه المعاصي ومن ثَم فلا داعي لصيام ولا صلاة ولا ضرورة لحج أو زكاة، ولذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كنّ فيه ذاق حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذف في النار» [منفق عليه]. إيذانًا بأن الشرك والكفر سبيل إلى الجحيم في الدنيا والآخرة.

وبعدُ فالتوحيد هو سر السلام الكوني.

والحمد لله رب العالمين.

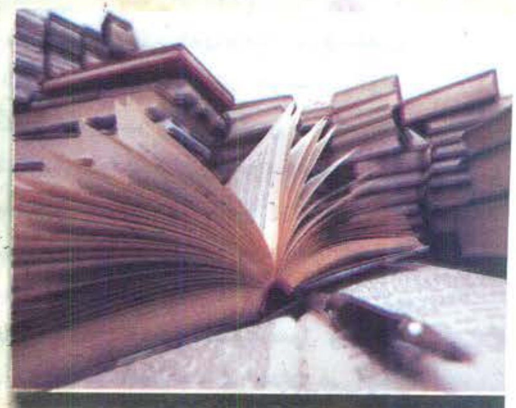
إنا لله وإنا إليه راجعون

تحتسب جمعية أنصار السنة المحمدية - المركز العام - عند ربها أحد أبناء الجمعية الذي توفي يوم الأحد ٢٧ / ٣ / ٢٠١١ م وهو الدكتور / أحمد عبدالمعطي عبدالمقصود - المعيد بكلية الصيدلة بجامعة الإسكندرية وهو ابن الشيخ عبدالمعطي عبدالمقصود - الأمين العام لجمعية أنصار السنة المحمدية - فرع الإسكندرية.

وإدارة المركز العام وأسرة تحرير مجلة التوحيد يتقدمون بخالص العزاء إلى أسرة المتوفى سائلين الله تعالى أن يغفر له ويرحمه.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

السلفية صمام أمان للأمة



إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن كلمة «السلفية» منسوبة إلى مَن سلف، أي من سبق من هذه الأمة، وهم الجيل الأول بقيادة خير البرية وسيد البشرية صلى الله عليه وسلم، ومن تبعهم بعد ذلك من القرون المفضلة التي أخبر عنها عليه الصلاة والسلام بقوله: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». متفق عليه من حديث عبدالله بن مسعود.

وعلى هذا فمعنى كلمة السلفية: هي من كلمة سلف يَسلف بالضم- سَلَفًا بفتحتين، أي مضى، والقوم السُّلَّاف المتقدمون، وسلفُ الرجل: آباؤه المتقدمون.

المعنى الاصطلاحي: المراد بالمذهب السلفي: ما كان عليه الصحابة الكرام-رضوان الله عليهم- والتابعون لهم بإحسان إلى يوم الدين، وأتباعهم وأئمة الدين ممن شُهد له بالإمامة وعُرف عظم شأنه في الدين، وتلقى الناس كلامهم خلفًا عن سلف كالأئمة الأربعة وسفيان الثوري، والليث بن سعد وابن المبارك، والنخعي، والبخاري، ومسلم، وسائر أصحاب السنن، دون من رُمي ببدعة أو اشْتُهِرَ بلقب غير مرضي مثل الخوارج والروافض والمرجئة والجبرية والجهمية والمعتزلة، فكل من التزم بعقائد وفقه هؤلاء الأئمة كان منسوبًا إليهم، وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان وكل من خالفهم فليس منهم وإن عاش بين أظهرهم وجمع بينهم نفس الزمان والمكان.

فيكون المراد بالسلف الصحابة-رضي الله عنهم- وقد تُوسِّعَ في هذا المصطلح فشمل من تبعهم بإحسان من التابعين وتابعيهم من أئمة الدين ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، سواء كانوا من القرون الخيرية أو ممن جاء بعدهم.

قال تعالى: «وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» [التوبة:١٠٠].

فالسلفية إذًا هي المدرسة التي حافظت على العقيدة والمنهج الإسلامي بعد ظهور الفرق المختلفة طبقًا لفهم الأوائل من الصحابة-رضي الله عنهم-.

والسلفية في مدلولها اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والذي كانت سيرته العطرة هي المنهج الذي يتطلع إليه سلفنا الصالح وحولوه إلى منهج حياة وهذا المنهج نزل به الأمين جبريل على صدر رسولنا صلى الله عليه وسلم من عند الله-تبارك وتعالى-

كما قال تعالى: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى(٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى» [النجم:٣-٤].

وقوله تعالى: «قُلْ لا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ» [الأنعام:٥٠]

فالسلفية إذًا ليست من تأسيس البشر، إنما هي الإسلام نفسه بالفهم الصحيح علمًا وعملاً، وهي تمسُّك بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لا تخرج عما كانوا عليه.

الأصول التي قامت عليها الدعوة السلفية ومنهجها

قامت الدعوة السلفية على أصلين عظيمين يمثلان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبل رسولنا صلى الله عليه وسلم، ولذلك فهي أصول معصومة؛ لأن أصل الدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند الله-تعالى-.

الأصل الأول: هو توحيد الله- سبحانه وتعالى- توحيدًا صافيًا من كل شرك، فالتوحيد هو الأصل الأول، وأصل الأصول عند السلفيين، وهو المقدم عندهم، قال تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ» [الأنبياء:٢٥].

والأصل الثاني: الاتباع، وهو تحقيق شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تعني طاعته فيما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله إلا بما شرع على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم مع محبته وتوقيره واتباعه والسير على دربه واقتفاء أثره صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: «قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» [آل عمران:٣١]. [الدعوة السلفية للعسقلاني ٢/١ بتصرف يسير].

وأصحاب العقيدة السلفية يتلقون نصوص القرآن وما ثبت في السنة بالتصديق والتسليم، ويقابلونها بالخضوع والحب والتعظيم، لا يفرِّقون بين متواتر وآحاد، بل جميع ما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحيٌ من الله إلى سائر العباد، لا بد لهم أن يصدقوا خبره بشرط اليقين، ولا بد من تنفيذ أمره بكمال الانقياد.

وهؤلاء الأسلاف الذين ينتسب إليهم كل من جاء بعدهم، فلربما سُمِّي المسلم سلفيًّا بهذا المعنى؛ أي أنه يسير على طريقة هؤلاء الأخيار، كما قال بعضهم: «لأعملن فيكم بأمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وأتبع سبيل من سلف من خياركم». [تاريخ الطبري: ٢٦٠/٤].

فالسلفية إذن منهج وطريق وسنة، وليست فئة أو جماعة أو حزبًا، وقد كانت بعض الصحف والمجلات في الزمن البائد والنظام الفاسد تجامل على حساب هؤلاء السلفيين، فكان كل من أراد أن يشتهر أو ينال منصبًا أو دنيا؛ فقط يشتغل بذم السلفيين والتقليل من شأنهم والنَّيْل منهم، ومن أعراضهم، حتى إن بعضهم كتب بعنوان: «السلفية خطر يهدد أمن الوطن»، وهؤلاء ليس لهم بضاعة رائجة إلا الهجوم على هؤلاء الأخيار وعلى مظهرهم ورمز عفافهم وطهرهم .

لكن الأمور لا تسير دائمًا على وتيرة واحدة، فسبحان من يغيِّر ولا يتغير، والأيام يداولها الله تعالى بين الناس، «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» [الشعراء: ٢٢٧].

وكان مما يردده هؤلاء المهاجمون أن السلفيين يثيرون الفتنة الطائفية، وأثبتت الوقائع والواقع أثناء أحداث ٢٥ يناير أن السلفيين صمام أمان للأمة، فلم يتعرضوا لنصارى مصر بأدنى نوع من الإيذاء، بل على العكس، فقد كانوا يدافعون عنهم ويحمونهم ويؤمنون كنائسهم وبيوتهم، كيف لا وهم يعيشون بيننا في عهدنا وأماننا؟ والمسلمون ليسوا خونة حتى يخونوا الله والرسول ويخونوا أماناتهم وعهودهم، فلما حدثت أحداث في إحدى القرى بين بعض المسلمين والنصارى، نفخ فيها النافخون، وأرجف لها المرجفون، فسيَّسوها ودوَّلوها، ونسبوها أيضًا للسلفية .

لكن الله من ورائهم محيط، فإن المشكلة لم تُحَل إلا على أيدي السلفيين بفضل الله سبحانه .

قدوة السلفيين:

إن السلفيين الذين هم أهل السنة والجماعة، يطمع الواحد فيهم في شفاعة حبيبهم محمد صلى الله عليه وسلم، فكيف يتجرأ الواحد منهم على أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم خصمه وحجيجه يوم القيامة؟ يحاجّه ويقيم عليه الحجة أنه أثم بظلمه للناس، يظهر ذلك في حديث صفوان بن سليم الذي يرويه عن ثلاثين من أبناء الصحابة الكرام عن آبائهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من ظلم معاهدًا أو انتقصه، وكلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفس منه؛ فأنا حجيجه يوم القيامة». [أخرجه أبو داود ٣٠٥٤ وصححه الألباني].

وزاد البيهقي: وأشار رسول الله صلى الله عليه وسلم بإصبعه إلى صدره وهو يقول: «ألا ومن قتل معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله حرّم الله عليه ريح الجنة، وإن ريحها لتوجد من مسيرة سبعين خريفًا» [البيهقي ١٨٥١١].

فلا مفر لأهل السنة السلفيين من أن يقيموا الحقّ ويحكموا بالعدل ويكونوا رحمة للناس كما كان نبيهم صلى الله عليه وسلم الذي قال الله له: «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ» [الأنبياء: ١٠٧]، وقد ظهر ذلك جليًا في أحداث الانفلات الأمني، وفي غمرة أحداث ٢٥ يناير حينما انبرى السلفيون يؤمّنون الناس مسلمهم وغير مسلمهم في بيوتهم ودور عبادتهم، بل ويؤمنون لهم الأمان الغذائي، بما كانوا يعلنونه للناس من هدي سيدهم محمد صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال صلى الله عليه وسلم في منع الاحتكار والاستغلال : «من احتكر فهو خاطئ». [متفق عليه].

وقد شارك السلفيين في ذلك جميع فئات ذلك الشعب المجيد، لكن توجيه هؤلاء الأخيار النابع من معرفتهم بأمر ربهم وسنة نبيهم جعلتهم ينظمون تلك اللجان الشعبية ويوزعونها على الأحياء والقرى والمدن.

فلم نسمع في تلك الفترة العصيبة عن قتل نصراني واحد، أو هدم كنيسة واحدة، مع ما كان يعتري البلاد من غياب الأمن والشرطة وانتشار المنحرفين والبلطجية.

ولقد شهد العالم أجمع بره وفاجره بهذه المواقف الإيجابية النبيلة لهؤلاء السلفيين، ومن قبلُ شهد أحد الغربيين «تريتون» لهذا المنهج السلفي فقال: «ولما تدانى أجل عمر بن الخطاب أوصى من بعده وهو على فراش الموت بقوله: أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيرًا، وأن يوفي لهم بعهدهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم». وهذا حديث في البخاري عن عمرو بن ميمون عن عمر بن الخطاب.

صورة السلفيين:

هذه الصورة المشرفة الرائعة التي رأيناها للسلفيين، شهد بها غير المسلمين، والحقّ ما شهد به الأعداء، هذه الصفحة الجميلة يرسمها لنا المستشرق الفرنسي «هنري سيروي» في كتابه «فلسفة الفكر الإسلامي» فيقول: «محمد صلى الله عليه وسلم لم يغرس في نفوس أتباعه مبدأ التوحيد فقط، بل غرس فيهم أيضًا المدنية والأدب».

حقًا والله، لقد ظهرت تلك المدنية وذلك الأدب الجم بوضوح شديد في سلوك المسلمين نحو نصارى مصر، فلما ذهبنا ضمن مجموعة المشايخ والعلماء والدعاة إلى قرية «صول» التابعة لمدينة أطفيح محافظة حلوان والتي جرى بها النزاع بين بعض المسلمين والنصارى، استدعينا الأشد غضبًا من المسلمين للحوار معهم، فقال أحدهم وقد احمرت وجنتاه من الغضب: «رغم ما أنا فيه من الهم والغم، فإنني والله قادم من بيتي وعازم على أن كلام علمائنا ومشايخنا هو الفصل في المسألة؛ لأنهم لن يقولوا إلا بشرع الله، ولن يحكموا إلا بسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله لو أمرتموني يا مشايخي أن أهدم بيتي وأبني مكانه كنيسة لفعلت». فقلنا: الله أكبر، هذا كلام ينبغي أن يسجل ويُنشر؛ لأن هؤلاء هم أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذين كما علمهم التوحيد وغرسه في نفوسهم؛ غرس فيهم المدنية والأدب؛

لأنهم ليسوا طلاب دنيا ولا متعصبين بغير حق، وإنما تعلموا من نبيهم وإمامهم صلى الله عليه وسلم، الذي وصفته الكاتبة الإنجليزية «إيفلين كوبولد» في كتابها «البحث عن الله» فقالت: «مع أن محمدًا صلى الله عليه وسلم كان سيد الجزيرة العربية، فإنه لم يفكر يومًا في الألقاب، ولا راح يعمل لاستثمارها، بل ظل على حاله مكتفيًا بأنه رسول الله، وأنه خادم المسلمين، ينظّف بيته بنفسه، ويصلح حذاءه بيده، كريمًا بارًا كأنه الريح السارية، لا يقصده فقير أو بائس إلا تفضل عليه بما لديه، وما لديه كان في أكثر الأحايين قليلاً لا يكاد يكفيه».

بضاعة السلفيين:

إن بضاعة السلفيين ليست إلا ميراثهم من نبيهم صلى الله عليه وسلم، وميراث نبيهم هو العلم، فإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا ولا دينارًا، وإنما ورثّوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

ثبت عند أبي داود من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « .... فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة». [الترمذي ٢٦٧٦ وصححه الألباني].

قال ابن حبان في «صحيحه» (١/١٠٤) في قوله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي» بيان واضح أن من واظب على السنن، وقال بها، ولم يعرّج على غيرها من الآراء، كان من الفرقة الناجية يوم القيامة، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه.

وفي الصحيحين عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا. [متفق عليه].

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: من كان مستنًا فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من دينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. [جامع بيان العلم٢/ ٢٤٧].

وقال الأوزاعي رحمه الله: اصبر نفسك على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم. [شرح أصول الاعتقاد ١/ ١٥٤].

وقال شيخ الإسلام: «من خالف قولهم وفسّر القرآن بخلاف تفسيرهم فقد أخطأ في الدليل والمدلول جميعًا». [التفسير الكبير ٢/ ٢٢٩].

وقال ابن عبدالهادي: لا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة، لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة.

وصدق مالك رحمه الله حيث قال: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها».

فبضاعة السلفيين إيمانهم بنبيهم وتصديقه وتصديق كلام ربهم الذي قال: «وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا» [البقرة: ٨٣]. والسؤال الآن: ما الذي قدمته الاتجاهات الليبرالية والعلمانية في واقع الناس من خدمات وسعادة ورفاهية وتطور واستباق حضاري علمي أو عملي؟! ما قدموا إلا تنظيرات وكلمات طنانة وخطب رنانة، وهجوم على غيرهم.

إن كان هؤلاء المهاجمون يدينون بأي دين سماوي فليأتوا لنا بما يؤيدهم ويؤيد أطروحاتهم مما أمرهم به هذا الدين السماوي؟! «قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٩) فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» [القصص:٥٠].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الربا حرام، ولكن ما الربا؟

إعداد: د/ علي أحمد السالوس
أستاذ فخري في المعاملات المالية والاقتصاد الإسلامي بجامعة قطر

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد تذكرت ما نشر من قبل تحت مثل هذا العنوان لأكثر من كاتب، ولا يستطيع المسلم أن يقول: الربا حلال، فهذا كفر صريح، فماذا يفعل من أراد أن يُحلَّ ربا العصر دون أن يحكم بكفره؟

سلك هؤلاء مسلكًا آخر، وجعلوا التحريم مقصورًا على صورة واحدة لا نكاد نجد لها وجودًا في أي عصر أو مصر، وهي: أن يقرض المسلم أخاه قرضًا حسنًا، فإذا حل الموعد وعجز عن الأداء استغل حاجته وقال له: إما أن تقضي وإما أن تُربي.

وعدم واقعية هذه أن المحسن عادة لا ينقلب إلى جشع مستغل، والجشع المستغل لا يعرف القرض الحسن، فإذا كانت الصورة لا نكاد نجد لها وجودًا في واقع الناس، فهذا يعني أنهم وصلوا إلى تحليل الربا في جميع صوره وأشكاله في كل معاملات الناس، مع رفعهم شعار: الربا حرام.

منهج القرآن الكريم في تحريم الربا:

بدأ الكاتب المبحث ببيان أن الربا من أكبر الكبائر، ثم تحدث عن منهج شريعة الإسلام في تحريم الربا، ووقف عند الصور الأربع التي تحدثت عن الربا، وهي تبين هذا المنهج الحكيم.

ووقف طويلاً عند قوله تعالى في سورة آل عمران: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ» [آل عمران:١٣٠].

وقال: «والتقييد بقوله سبحانه: «أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً» ليس المقصود منه النهي عن أكل الربا في حال المضاعفة خاصة، وإباحته في غيرها، فالربا قليله وكثيره حرام».

وبين المقصود من هذا التقييد، واستدل على قوله بالقرآن الكريم فقال: وشبيهه في ذلك قوله تعالى: «وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ» [النساء:٢٣]، وقوله تعالى: «وَلاَ تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا» [النور:٣٣]، ووضح المراد، فأحسن وأجاد.

وانتقل إلى الآيات الكريمة في سورة البقرة:

«الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا» [البقر:٢٧٥]، وقال: والمتدبر لهذه الآيات الكريمة يراها بدأت ببيان: أن الذين يتعاملون بالربا - أخذًا أو إعطاء - لا يقومون للقاء الله تعالى يوم القيامة، إلا قيامًا كقيام المتخبط المصروع المجنون الذي مسه الشيطان.

ثم ردّ على من ساوى بين التعامل بالربا والتعامل بالبيع والشراء.. إلخ.

وبعد الحديث عن آيات الربا في القرآن الكريم، انتقل الكاتب إلى السنة المطهرة، فقال: السنة أكدت تحريم الربا.

وتحت هذا العنوان قال: ثم جاءت السنة النبوية الشريفة فأكدت ما جاء في القرآن الكريم من تحريم قاطع للربا، وفصلت ما خفي على الناس من شأنه، فقد عدَّ صلى الله عليه وسلم التعامل بالربا من كبائر الذنوب.

ثم استطرد إلى حديث: «اجتنبوا السبع الموبقات». ثم قال: وبين صلى الله عليه وسلم أن لعنة الله شملت كل من اشترك في عقد الربا، وذكر حديث: «لعن الله آكل الربا، ومؤكله، وشاهديه، وكاتبه».

الخلط بين ربا الفضل وربا النسيئة:

بعد ما سبق من كلام طيب قال الكاتب: كما بينت السنة النبوية الشريفة نوعًا آخر من الربا، وهو ما يسمى ربا الفضل - أي الزيادة - بأن تكون المبادلة بين شيئين متماثلين مع اشتراط الزيادة في أحدهما.

أي إن الزيادة في ربا النسيئة - أي: التأخير - تكون في مقابل تأجيل الدين الذي حل وقت سداده إلى وقت آخر.

أما الزيادة في ربا الفضل فتكون مشروطة مقدمًا لأحد المتعاقدين في عقد المعاوضة بدون مقابل، كأن يقرض إنسان آخر مائة جنيه مشترطًا عليه أن يردها له بعد مدة معينة مائة وعشرين مثلاً.

ومن الأحاديث التي وردت في تحريم ربا الفضل ما جاء في الحديث الصحيح عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الذهب بالذهب، والفضة بالفضة، والبر بالبر، والشعير بالشعير، والتمر بالتمر، والملح بالملح، مثلاً بمثل، سواء بسواء، يدًا بيد، فإذا اختلفت الأصناف فبيعوا كيف شئتم إذا كان يدًا بيد». اهـ.

وهذا، ولا شك، خلط بين ربا الفضل وربا النسيئة، ذلك أن المعروف أن ربا الفضل يكون في البيوع، لا في الديون والقروض، مع القبض في المجلس، وهو لا يكون إلا في الجنس الواحد من الأموال الربوية، ويوضحه حديث تمر خيبر المشهور: «إنا نبتاع الصاع من هذا بالصاعين». أما ربا النسيئة فيكون في الجنس الواحد، وفي الجنسين، وفي الديون والقروض وفي البيوع، وقد يصدق عليه ربا الفضل ولكن لا يسمى ربا فضل، كما قال ابن حجر الهيثمي: «وتسمية هذا نسيئة - مع أنه يصدق عليه ربا الفضل أيضًا - لأن النسيئة هي المقصودة فيه بالذات».

وحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه لا يقتصر على تحريم ربا الفضل، فالأصناف الستة إذا لم تكن مثلاً بمثل سواء بسواء وكانت يدًا بيد فهذا ربا فضل، وإذا لم تكن يدًا بيد فهذا ربا نسيئة، وإذا اختلفت الأصناف فلا يوجد ربا فضل، وإنما يكون ربا النسيئة إذا لم يكن يدًا بيد، أما إذا كان يدًا بيد فلا يشترط التساوي، والفضل جائز كما هو واضح من فقه الحديث. فالحديث الشريف إذن يبين تحريم ربا الفضل، وربا النسيئة في البيوع.

وما ذكره الكاتب عن ربا النسيئة صورة من

صوره، وليست كل صوره؛ لهذا نرى إعادة صياغة ما ذكره الكاتب، فالسنة بينت نوعًا آخر من الربا هو: ربا البيوع، وهذا الربا ينقسم إلى قسمين: ربا الفضل وربا النسيئة، وقد بينت هذا بالتفصيل في كتابي المعاملات المالية المعاصرة في ميزان الفقه الإسلامي، أما ما كان في الجاهلية فلم يأت الحديث عنه بعد.

والخلط بين ربا الفضل وربا النسيئة لم نجده إلا في عصرنا؛ بل وجدنا من يعمد إلى هذا الخلط عمدًا ليصل إلى تحليل الربا المحرم، أو إباحته بزعم المصلحة.

واستند هؤلاء المجترئون إلى قول ابن القيم في ربا الفضل: ربا الفضل محرم تحريم وسائل من باب سد الذرائع، لا تحريم مقاصد، كما حرم ربا النسيئة، ووجه ذلك أن بيع خمسة دنانير بستة نسيئة غير جائز، وهذا هو ربا النسيئة، وكذلك هو غير جائز بيعًا حالاً، وهذا هو ربا الفضل، وذلك أننا لو أجزناه حالاً، وحرمناه نسيئة، لاتخذ الناس الحال ذريعة إلى النسيئة، ولباع رجل من آخر خمسة دنانير بستة بزعم أن البيع حال، ويواضعان على أجل.

وكلام ابن القيم واضح في أن الحديث عن ربا البيوع لا ربا الديون والقروض، وأن ربا الفضل في البيع الحال في الصرف، ومثله: كل ما يجب فيه قبض كل من العوضين في المجلس، أما البيع نسيئة فهو ربا نسيئة ولا يقال ربا فضل، أو ربا فضل ونسيئة، وبين ابن القيم أن ربا الفضل في البيع الحال - لو أجيز - لاتخذ ذريعة إلى النسيئة.

ومعلوم أن فوائد البنوك ليست نتيجة بيع حال حتى تعد من ربا الفضل بل لا يتصور ربا الفضل في نقود العصر، وقد ذكر اثنان من الكاتبين في هذا المجال قول ابن القيم في ربا الفضل ليصلا إلى تحليل فوائد البنوك، فبينت خطأهما.

ما الربا المجمع على تحريمه؟!

الربا المجمع على تحريمه هو: كل زيادة مشروطة على القرض في جميع الأموال، وكل زيادة على الدين الذي حل موعده مقابل التأجيل «إما أن تقضي، وإما أن تربي». وربا البيوع بنوعيه: الفضل، والنسيئة في الأصناف الستة المعلومة، كل هذا مجمع عليه بغير خلاف(١).

وإنما الخلاف في ربا البيوع في غير الأصناف الستة: فأهل الظاهر رأوا الوقوف عندها خلافًا لجمهور الأئمة، والأئمة اختلفوا في بيان العلة.

ومن ثم لا يجوز بحال أن يقال بوجود خلاف بين علماء الأمة في ربا القروض والديون، وكذلك ربا البيوع في الأصناف الستة، وإن خالف ابن عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - فترة من الزمن في ربا الفضل قبل أن يبلغهما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد بينت هذا بالتفصيل مع الأدلة الثابتة التي لا يستطيع مسلم أن يحيد عنها، وذلك تحت عنوان مفهوم الربا المحرم في حكم ودائع البنوك وشهادات الاستثمار في الفقه الإسلامي.

وقد ذكر الكاتب أن السنة المطهرة فصلت ما خفي على الناس في شأن الربا، فلا يجوز للدائن أن يشترط على المدين أن يرد له أكثر مما أخذه منه، فالقاعدة الشرعية تقول: كل قرض جر نفعًا فهو ربا، أي: كل قرض اشترط صاحبه على المقترض منه أن يرده إليه زائدًا عن أصله، فهذه الزيادة ربا». اهـ

وما دمنا نتحدث عن معاملات البنوك وأحكامها الشرعية، فالأمر أساسًا يتعلق بربا القروض

والديون، وهذا من الربا الذي لا خلاف حوله.

عناوين مغرضة:

ولكن تحت عنوان «ما الربا المجمع على تحريمه؟» لم يذكر الكاتب أن السنة المطهرة فصلت، ولم يذكر الربا المجمع على تحريمه محددًا كما يبدو من العنوان، وإنما قال: «المتتبع لأقوال العلماء يرى اختلافًا كبيرًا بينهم في تحديد صور الربا المحرم شرعًا، وقد سرى هذا الاختلاف منذ عهود الصحابة إلى يومنا هذا، مع اتفاقهم جميعًا على أن التعامل بالربا من أكبر الكبائر، أي إن الاختلاف في تحديد صور الربا المحرم شرعًا، وليس في ذات تحريمه».

وبعد هذا مباشرة ذكر كلامًا لأحد الكتاب المعاصرين القائلين بأن الربا المحرم غير محدد، والرافضين لتجنب الشبهات ما دام الأصل في المعاملات الإباحة.

ولا شك أن هذا يؤدي إلى استباحة الربا في معاملاتنا ما دام لم يبين لنا! ويبقى تحريم الربا، والخلود في جهنم، والأذان بحرب من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، مجرد معان في آيات تتلى دون تطبيق!

وما قيمة تحريم الربا – إذن – ما دمنا لا نعرف صوره؟ وهذا كلام ساقط، يتعارض مع وجوب بيان الرسول صلى الله عليه وسلم للناس ما نزل إليهم، ومع ما ذكر من قبل من صور الربا المجمع عليه.

ومما ذكره هذا الكاتب، وردده المجترئون على الفتيا – كلهم أو جلهم – أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن آخر ما نزل من القرآن آية الربا، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض ولم يفسرها، فدعوا الربا والريبة».

وهم لا يذكرون هذا لتجنب ما فيه من ربا، وما فيه من شبهة الربا، كما أمر عمر لو صح عنه هذا، وإنما للقول بأن الربا غير معلوم، والأصل في المعاملات الإباحة هكذا أراد هؤلاء.

والذي نسب لعمر رضي الله عنه رواه الإمام أحمد في مسنده، وابن ماجه في سننه، وهو خبر ضعيف، قال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده ضعيف لانقطاعه». (انظر المسند: ١/٣٦٠- رواية رقم ٢٤٦).

وفي إسناده أيضًا سعيد بن أبي عروبة، إمام أهل البصرة في زمانه، لكنه اختلط عدة سنوات في آخر عمره وما روى في زمن اختلاطه ليس بحجة. (انظر ترجمته في ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب).

وقال ابن حزم في المحلى (٩/٥١٩): «حاش لله من أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبين الربا الذي توعد فيه أشد الوعيد، والذي آذن الله تعالى فيه بالحرب، ولئن كان لم يبينه لعمر فقد بينه لغيره، وليس عليه أكثر من ذلك، ولا عليه أن يبين كل شيء لكل أحد، لكن إذا بينه لمن يبلغه فقد بلغ ما لزمه تبليغه».

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

هامش:

١- نص غير واحد من أهل العلم الإجماع على ربا الفضل في الأصناف الستة المذكورة في الحديث منهم ابن حزم، حيث قال: وأعجب شيء مجاهرة البعض بدعوى الإجماع على وقوع الربا فيما عدا الأصناف المنصوص عليها، والله ما وقع الإجماع في الأصناف المنصوص عليها فكيف في غيرها؟ أوليس ابن مسعود وابن عباس يقولان: «الربا فيما كان يدًا بيد؟ وعليه كان عطاء وأصحاب ابن عباس وفقهاء أهل مكة. [اللجنة العلمية]

دور العلماء والدعاة في الأزمات

إعداد/ جمال عبدالرحمن

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه، وبعد:

فإن الله تعالى قد أمر في كتابه الكريم بالدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، فقال: «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» [النحل: ١٢٥]، وقال: «وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ..» [العنكبوت: ٤٦]، وإذا كان الجدال بالتي هي أحسن قد أمرنا به عند مجادلة أهل الكتاب؛ فإن الجدال مع المخالفين من أهل الإسلام أولى بأن يكون بالحسنى والمعروف، لقول الله تعالى: «أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ» [المائدة: ٥٤]، ولقوله جل وعلا: «وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» [الحجر: ٨٨].

وفي الأوضاع التي تمر بها بلادنا، نحن في أشد الاحتياج لتيار دعوي مخلص يحسن عرض دينه عرضًا يليق بعظمة هذا الدين، ويليق بعظمة الداعية الأول رسول الله صلى الله عليه وسلم، خاصة وأن البلاد تعيش أزمات كأنها عنق الزجاجة، تحتاج إلى حكمة بالغة لتجاوز هذه المرحلة الحرجة.

أولاً: ما هي الأزمة الراهنة؟

الأزمة الراهنة تتمثل في:

أ- ضبابية الرؤية للواقع الحالي وعدم الاطمئنان إلى المستقبل المجهول:

فمع تجاوز البلاد فترة ظلم وفساد - بفضل رب العباد - الذي لطف بالناس لطفًا عظيمًا، إلا أن كثيرًا من المشاكل التي تسبب عدم الاستقرار لا تزال عالقة، فالقبضة ليست محكمة على البلاد، والسيطرة ليست تامة على المنحرفين والمتجمهرين والمعتصمين، فهناك الفوضى باسم الحرية التي يمارسها كثير من العوام والجهال، مما يؤدي إلى كثرة الحوادث والانتهاكات.

ب- تربص الأعداء بالبلاد:

لا شك أن أعداءً كثيرين لا يريدون لهذا البلد أمانًا ولا استقرارًا ولا رخاء ولا ازدهارًا،

ليسهل التآمر والتفكيك لتوجهات البلاد، وزرع الفتن بين أبناء الوطن، وهؤلاء الأعداء كثيرون من الداخل والخارج، وقانا الله شرهم، فهم يرغبونها فوضى، ويبغونها عوجًا.

ج- قيادات غير مؤهلة شرعيًا ومدنيًا:

الفترة التي مضت بالبلاد قبل أحداث ٢٥ يناير كان لها سمة سيئة، وهي إعدام الكفاءات ووأد الخبرات، وعدم الترحيب بمن ينفع الناس، فلذلك ظهر حاليًا آثار هذه السياسة المقيتة، فصار من الصعب استبدال الطاقم كله بطاقم جديد كامل يقود البلاد بحكمة ورشاد، فمن قلة الخبرة إلى ضعف الحنكة السياسية، وفوق كل ذلك أن قيادة الناس تحتاج إلى سياسة شرعية، وهذه يفتقر إليها عدد غير قليل ممن يلي أمر البلاد والعباد، إلا من رحم الله، وقليل ما هم.

د- تصارع الكثير من القوى والتيارات مع ضعف الوازع الديني والخلقي:

وهذا أيضًا من الطوام الكبرى، فحينما يقع مثل هذا فإن المتصارعين لا يهمهم عند ذلك مصلحة البلاد أو أمنها، وإنما الذي يعني هؤلاء مصالحهم الخاصة، مهما كلف البلاد من ضياع للمصالح وضعف الاقتصاد، ومهما تأخر الأمن وتباطأ الاستقرار.

وضعف الوازع الديني ينزع الرحمة من القلوب، ويُبعد الخوف من الله جل وعلا، عندها

هـ- الدولة المدنية ومغازلة أعداء الإسلام:

لا شك أن أعداء الإسلام لا يحبون أن يبقى المسلمون على إسلامهم، وسيعلنون العداء الصريح الفجّ إذا أعلن أحد أن الدولة ستحتكم إلى شرع الله تعالى في حكمها، ولذلك فالكثير ممن يرغب في اعتلاء كرسي الحكم في هذا البلد يلوح بأن الدولة ستكون مدنية، والبعض يريدها علمانية، والله المستعان على ما يصفون، وهذا من التدليس مع كثير من الناس، لأنهم لا يعلنون مرادهم من الدولة المدنية، وأنها تعني عندهم تنحية شرع الله عن الحكم، فيكون الحكم في الدولة وفق النظم الغربية.

و- التباين في مواقف الدعاة والمشايخ:

هذا التباين كان واضحًا قبل الأحداث، وقلنا لعل السبب في ذلك كان النظام الفاسد القديم، وكان التباين واضحًا أيضًا في أثناء الأحداث، فمن مشارك في الأحداث، ومن ممتنع، والأشد من ذلك: انتقاد كل منهما للآخر.

الواجب المحتوم على أهل العلم والدعاة:

١- توحيد الصفوف على الكتاب والسنة، والحرص على إظهار قوة المسلمين وثقلهم:

فإن الله سبحانه ذم الاختلاف والتشرذم، وبين أن ثمرته مُرّة حنظلية وهي الفشل الذريع، فقال عز وجل: «وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا» [الأنفال: ٤٦]، وإذا لم تجمعنا الشدائد فما الذي يجمعنا؟ فيا أهل الإسلام اجتمعوا على كلمة سواء.

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتفقد رجلاً يعرفه، فقيل له: إنه يتابع الشراب (الخمر)، فما كان منه رضي الله عنه إلا أن كتب إليه: «إني أحمد إليك الله، الذي لا إله

إلا هو، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول، لا إله إلا هو إليه المصير، وحين وصل كتابُ أمير المؤمنين الرجلَ، أخذ يردد ما جاء فيه وهو يبكي، حتى صحت توبته وأحسن النزع، وبلغت توبته عمر رضي الله عنه، فقال لمن حضر مجلسه: «هكذا فاصنعوا؛ إذا رأيتم أخًا لكم زل زلةً، فسددوه ووفقوه، وادعوا الله أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه». [حلية الأولياء: ٤/٩٨].

وذكر أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب إلى أخيه في الله مالك بن أنس النصيحة الآتية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين؛ من يحيى بن يزيد إلى مالك بن أنس، أما بعد: فقد بلغني أنك تلبس الدقاق، وتأكل الرقاق، وتجلس على الوطيء، وتجعل على بابك حاجبًا، وقد جلست مجلس العلم، وقد ضربت إليك المطيّ، وارتحل إليك الناس واتخذوك إمامًا، ورضوا بقولك، فاتق الله يا مالك، وعليك بالتواضع؛ كتبتُ إليك بالنصيحة مني كتابًا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى، والسلام».

فكتب إليه مالك رحمه الله: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد، سلام الله عليك، أما بعد؛ فقد وصل إليّ كتابك، فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب، أمتعك الله بالتقوى، وجزاك بالنصيحة خيرًا، وأسأل الله تعالى التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فأما ما ذكرت لي أني آكل الرقاق وألبس الدقاق، وأحتجب، وأجلس على الوطيء: فنحن نفعل ذلك، ونستغفر الله تعالى، فقد قال الله تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» [الأعراف:٣٢]، وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، ولا تدعنا من كتابك، فلسنا ندعك من كتابنا، والسلام. [إحياء علوم الدين: ١/١٧].

فهذا أدب النصيحة الذي يثمر توحيد الصف، وذلك أدب الرد والإجابة الذي يثمر التقدير والإنصاف، وواجب على الدعاة أن يكونوا قدوة في ذلك، وألا يُغرقوا في الخلاف فيما يسع فيه الخلاف، وإحسان الظن ببعضهم، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرًا وأنت تجد لها في الخير محملاً». [الدر المنثور: ٧/٥٦٥].

٢- تعليم العامة احترام العلماء والدعاة:

إن الدعاة إذا أظهروا حبهم لإخوانهم فلن يسع العامة إلا ذلك، وإذا ظهر من الدعاة لمزًا وهمزًا لإخوانهم تبعهم العامة في ذلك، فينبغي أن يُعلَّم العامةُ احترام العلماء، فإن من عادى لله وليًا فقد بارز الله تعالى بالمحاربة، كما ورد بالصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن علماء المسلمين ودعاتهم لهم احترامهم ومكانتهم التي أعطاهم الشرع الشريف إياها، فهم ورثة الأنبياء، والواقفون على منابرهم، القائلون بقولهم، فينبغي التعامل معهم بكل احترام وأدب يليق بهم، وإن صدرت عنهم آراء مجانبة للصواب والحق، ولا يحق لأحد مهما كان أمره أن يتناول العلماء بلسانه، فإن لحوم

العلماء مسمومة، كما قال الحافظ ابن عساكر في كلمته الموفَّقة التي ينبغي لها أن تُكتب بحروف من ذهب، حيث قال: «اعلم أخي – وفقني الله وإياك لمرضاته، وجعلني وإياك ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته- أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله قبل موته بموت القلب.

وقال: لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمره عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعه وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم خُلُق ذميم».

٣- تفقيه الناس في دينهم وتعليمهم وما ينفعهم:

وقد جاء عن أحد المستشرقين الفرنسيين «هنري سيرويه» في كتابه فلسفة الأدب الإسلامي، يقول: «محمد –صلى الله عليه وسلم- لم يغرس في نفوس الأعراب مبدأ التوحيد وحسب، وإنما غرس فيهم المدنية والأدب». وتلك شهادة شهد بها أعداء الملة، فينبغي أن يظهر ذلك على أتباع محمد صلى الله عليه وسلم.

٤- الإخلاص ففيه بركة، والتقوى ففيها قبول:

والله تعالى يقول: «إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ» [المائدة:٢٧]، وذلك يحتاج إلى الاجتهاد فيما يلي:

أ- اغتنام الفرصة وعدم تضييعها في الخلاف والموضوعات المثيرة والمسائل الشاذة.

ب- تدعيم وتفعيل الالتفاف حول مرجعيات المسلمين وأئمتهم، وإلا فالظاهر أن كل واحد في نفسه إمام، والحمد لله وكفى.

ج- تفعيل مجلس شورى العلماء الذي تصدر عنه القرارات والفتاوى التي تجمع شمل المسلمين وتوحدهم.

د- عدم الانفراد بالرأي، ومفاجأة الأمة بالجديد المتفرد.

هـ- نبذ التعصب فإنه يفرّق ويورث الكراهية والتنابز، بل يجب احترام الآخرين.

إحسان الظن بالآخرين، فإن الظن السيء أكذب الحديث، كما بيّن رسولنا صلى الله عليه وسلم، والله تعالى يقول: «لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا» [النور:١٢].

و- الاتفاق والتوافق على خطة دعوية وتوحيد الخطاب خاصة في الأزمات.

ز- إيجاد منهج للتربية وتدريسه لتعليم الأمة التعامل الحضاري والأدب.

ح- الحرص على التزاور والتواصل في المناسبات وغيرها.

ط- حسن العرض لبضاعة الإسلام، حتى يقبل الناس دعوتنا، ويثقوا بنا، ولا ينفروا منا، ويكون ذلك بالاقتداء بسيد البشر صلى الله عليه وسلم في قوله وفعله وسلوكه.

ي- هذا؛ وإننا لنتفاءل وندعو الناس إلى التفاؤل بأن ما مضى من أحداث سيكون – إن شاء الله – ما بعده أفضل مما قبله، إذا خصلت النوايا وتضافرت الجهود، وتعامل الجميع بوعي وحرص على المصلحة العامة قبل المصلحة الفردية، وعلى العقلاء أن يستثمروا المستقبل لصالح خير الأمة وسعادتها.

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

الحلقة الأولى

قصة أصحاب الكهف

«أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا»

إعداد/ عبدالرازق السيد عيد

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فهذه قصة فتية آمنوا بربهم وزادهم الله هدًى، فربط على قلوبهم وثبّتهم فسمت نفوسهم بالتوحيد على حطام الدنيا الزائل لما رأوا طريقًا إلى الشرك وآثروا حياة الكهوف في عز التوحيد على حياة القصور في ذل الشرك، وبصدقهم وإخلاصهم نشر الله عليهم من رحمته وأنزل عليهم سكينته وحفظ أجسادهم من الفناء، سنين عددًا وبعثهم من مرقدهم ليكونوا آية من آياته وعبرة للأولين والآخرين، والحمد لله رب العالمين.

ونحن نبدأ معك قصتهم كما ذكرها لنا القرآن الكريم إجمالاً وتفصيلاً مستعينين بالله رب العالمين في الإجمال والتفصيل، وستكون وقفتنا الأولى بعون الله بين القصة والسورة.

أولاً: بين القصة والسورة:

لم يذكر المولى عز وجل قصة أصحاب الكهف إلا في سورة الكهف، ولم أقف على تسمية للسورة بغير هذا الاسم، فقد وردت تسميتها فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بسورة «الكهف»، وقد جاءت هذه التسمية على لسان النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم وأبو داود عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال» [مسلم ٨٠٩]. وفي رواية الترمذي: «من آخر الكهف». وكذلك جاء في حديث البراء بن عازب في صحيح البخاري تسميتها بهذا الاسم.

وفي حديث أخرجه ابن مردويه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سماها سورة أصحاب الكهف، إذن السورة تدور تسميتها بين الكهف وأصحاب الكهف، ولم يرد لها اسم ثالث فيما أعلم، فهل هناك علاقة بين اسم السورة وبين قصة أصحاب الكهف؟

أقول: نعم، وعلى الرغم من ورود قصص أخرى في السورة مثل قصة صاحب الجنتين، وقصة ذي القرنين وقصة موسى والخضر، ومع ذلك سُميت السورة باسم الكهف أو أصحاب الكهف لتبقى العلاقة وثيقة بين اسم السورة وقصة أصحاب الكهف وإن كان هذا لا يمنع صلة السورة أيضًا من

خلال أهدافها بما ورد فيها من قصص أخرى.

ويبقى السؤال: ما أبعاد العلاقة بين سورة الكهف وقصة أصحاب الكهف؟ ونجيب عن هذا التساؤل- بعون الله- فيما يلي:

١- إن موضوع سورة الكهف يقوم على تصحيح علاقة الناس بربهم الذي خلقهم وبحياتهم التي يعيشونها وآخرتهم التي يعودون إليها.

٢- وهذا البناء الشامخ يقوم على محاور ثلاثة:

أ- تصحيح عقيدة الناس بربهم.

ب- وتصحيح نظرتهم إلى دنياهم التي يعيشون فيها وآخرتهم التي سيعودون إليها.

جـ- تصحيح القيم والأخلاق التي يتعاملون بها.

٣- وعند التأمل نجد قصة أصحاب الكهف تلتقي مع السورة في هذه المحاور على النحو التالي:

تبدأ السورة بقوله تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» [الكهف: ١- ٥].

وختمت السورة بقوله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» [الكهف: ١١٠]، وهكذا يتساوى البدء والختام في إعلان توحيد رب العالمين، وإنكار الشرك وإثبات النبوة والرسالة.

وهكذا ما نلاحظه بوضوح في قصة أصحاب الكهف، فقد أعلن الفتية إيمانهم بالله رب العالمين، وأنكروا أن يتخذوا من دونه أولياء، فقالوا: «رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا» [الكهف: ١٤]، وفي التعقيب القرآني على القصة قال الله تعالى: «مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا» [الكهف: ٢٦].

٤- أما في مجال تصحيح عقيدة الناس بربهم فقد أنكرت سورة الكهف على الذين يقولون على الله بغير علم، قال الله تعالى: «وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» [الكهف: ٤، ٥]، وفي قصة أصحاب الكهف قال الفتية عن قومهم: «هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ» [الكهف: ١٥]، فاستنكروا قول قومهم على الله بغير دليل واضح.

٥- وفي مجال تصحيح القيم والأخلاق وربطها بالعقيدة:

أ- قال الله تعالى: «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا» [الكهف: ٧، ٨].

فزينة الدنيا التي تبهر قلوب الضعفاء إلى زوال، والباقيات الصالحات خير ثوابًا وخير أملًا.

ب- وحياة المرء بعقيدة صحيحة ولو في كهف خير من حياته بين القصور وربات الخدور بغير رصيد صالح من إيمان أو عمل، ومن هنا آثر الفتية الذين آمنوا اللجوء إلى الكهف هربًا بعقيدتهم الصالحة من قصور كانت تهدد عقيدتهم.

وكما ذكر الله عنهم وهم يقولون بعد اعتزالهم قومهم في العقيدة، وأرادوا كذلك أن يعتزلوهم في المكان؛ حرصًا على عقيدتهم، فقال بعضهم لبعض: «وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا» [الكهف: ١٦].

فكهف ضيِّق بعقيدة صحيحة في رحاب رضوان الله خيرٌ من قصور شاسعة بعقيدة فاسدة تستجلب سخط الله.

ونكتفي بهذا القدر في بيان العلاقة الواضحة بين سورة الكهف وقصة أصحاب الكهف في تصحيح العقيدة وبيان المنهج الصحيح واستقامة السلوك.

ثانيًا: عرض مجمل للقصة:

قال الله تعالى: «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا» [الكهف: ٩- ١٢].

في هذا الإيجاز البليغ الذي يُعدُّ مقدمة للقصة يرسم لنا القرآن معالمها الرئيسة فهي قصة عجيبة ولكنها ليست بأعجب آيات الله، ففي كون الله وفي خلقه سبحانه عجائب لا تُحصى قديمًا وحديثًا، وفي المستقبل الذي لا يعلمه إلا الله، كم من آيات عجيبة يمر عليها المكذبون وهم غافلون؟!!

والخطاب وإن كان للنبي-صلى الله عليه وسلم – ولكن يُراد به قومه الذين كذبوا به، وأهل الكتاب الذين أغروهم بالسؤال عن قصة هؤلاء الفتية الذين كانوا في الزمن الغابر، قال العلامة ابن عاشور – رحمه الله-: «وهذا تعريض بغفلة الذين طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم بيان قصة أهل الكهف لاستعلام ما فيها من العجب، بأنهم سألوا عن عجيب وكفروا بما هو أعجب»، وقال: وفيه لفت لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ بما فيها من العبَر. اهـ.

ولعله هنا يشير – رحمه الله – إلى ما ورد في أسباب النزول، وقد ذكره كثير من المفسرين وبسطه ابن إسحاق في سيرته بدون سند، وأسنده الطبري إلى ابن عباس بسند فيه رجل مجهول أن المشركين لما أهمهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم بعثوا النضر بن الحارث، وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة يسألونهم رأيهم في دعوته، فقال لهم أحبار اليهود: سلوه عن ثلاث؟ فإن أخبركم فهو نبيّ، ومن هذه الثلاث قالوا لهم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم...

وبغض النظر عن صحة هذا الخبر فإن القصص القرآني لا شك مَعْلم من معالم النبوة، ودليل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر عن ربه، فكيف للنبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ولم يغادر مكة قبل بعثته إلا مرة واحدة ولم يجلس ليتعلم على يد أحد أن يعرف أخبار أهل الكهف الذين كانوا في عهد الدولة الرومانية وكانوا على النصرانية؟ أو كيف به أن يعرف أخبار من سبقهم ومن لحقهم إلا عن طريق وحي من ربه، قال الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم في شأن إخباره بقصص الأولين والآخرين: «تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ» [هود: ٤٩]. فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على علم بهذا القصص، ولم يكن كذلك قومه على علم، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي أخبره عن ذلك الغيب، وأطلعه عليه؛ تصديقًا لما بين يديه، فهو سبحانه اقتضت حكمته أن يُطلع رسله أو بعض رسله على شيء من الغيب؛ عونًا لهم في إبلاغ رسالتهم وإتمام دعوتهم، قال تعالى: «عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا» [الجن: ٢٨].

والكهف: هو الشق في الجبل أي (الغار)، والمراد الكهف الذي أوى الفتية إليه، والرقيم: قيل اسم كلبهم، وقيل: اسم الجبل أو اسم القرية التي خرج منها أولئك الفتية، ولعل أقرب الأقوال إلى الصواب هو الرقيم بمعنى مرقوم أي مكتوب، وهو اللوح الذي كُتبت فيه أسماؤهم وقصتهم أو الكتاب الذي كان معهم وفيه عقيدتهم، والله أعلم.

أما تفاصيل قصة هؤلاء الفتية وعددهم الذي اختلف الناس فيه اختلافًا كبيرًا، وكذلك مدة مكوثهم قبل بعثهم، كل ذلك يقصه الله تعالى علينا بالحق، قال تعالى: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ» [الكهف: ١٣]. فإلى ذلك التفصيل في لقاء آخر إن شاء الله، ونستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.

دراسات شرعية

أثر السياق

طرق الدلالة (٢)

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

ذكرنا في العدد الماضي أن دلالة اللفظ على المعنى تنقسم إلى أربعة أقسام: دلالة العبارة، ودلالة الإشارة، ودلالة الدلالة، ودلالة الاقتضاء.

فتكلمنا عن دلالة العبارة، وبدأنا في دلالة الإشارة، ونستأنف البحث بإذن الله تعالى، فنقول:

دلالة الإشارة (إشارة النص):

المراد بها المعنى الذي لا يتبادر فهمه من ألفاظ النص، ولا يُقصد من سياقه، ولكنه معنى لازم للمعنى المتبادر من ألفاظ النص، فهو مدلول اللفظ بطريق الالتزام، ولكونه معنى التزاميًا وغير مقصود من السياق، كانت دلالة النص عليه بالإشارة لا بالعبارة.

وقد يكون وجه التلازم ظاهرًا، وقد يكون خفيًا، ولهذا قالوا: إن ما يشير إليه النص، قد يحتاج فهمه إلى دقة نظر ومزيد تفكير، وقد يُفهم بأدنى تأمل.

فدلالة الإشارة هي دلالة النص عن معنى لازم لما يُفهم من عبارته غير مقصود من سياقه، يحتاج فهمه إلى فضل تأمل أو أدناه، حسب ظهور وجه التلازم وخفائه. [علم أصول الفقه: د. عبدالوهاب خلاف ص١٤٥ بتصرف يسير].

وفي المثال الذي ضربناه في الحلقة السابقة من قوله تعالى: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» [الأحقاف: ١٥]. وقوله: «وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ» [لقمان: ١٤].

فإن ابن عباس رضي الله عنهما اعتمد على دلالة الإشارة في الجمع بين الآيتين لحساب أقل مدة للحمل.

فأخرج الطبري بسنده عن أبي عبيد قال: رُفع إلى عثمان امرأة ولدت لستة أشهر، فقال: إنها رفعت لا أراها إلا قد جاءت بشَرّ، أو نحو هذا ولدت لستة أشهر، فقال ابن عباس: إذا أتمَّت الرضاع كان الحمل لستة أشهر، قال: وتلا ابن عباس: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا» [الأحقاف: ١٥]، فإذا أتمت الرضاع كان الحمل لستة أشهر، فخلَّى عثمان سبيلها. [تفسير الطبري ٢٠٢/٤].

وكذلك استنبط علي رضي الله عنه مدة أقل الحمل – وهو ستة أشهر – من الآيتين. [تفسير القرطبي ٢٦٢/٥].

مثال آخر: قوله تعالى: «أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» [البقرة: ١٨٧].

دلالة العبارة من الآية: إباحة إتيان الزوجة في ليلة الصيام.

دلالة الإشارة: صحة صوم من أصبح جنبًا؛ لأن إباحة الجماع في الليل ومنه الجزء الأخير منه الذي ليس بعده ما يتسع للاغتسال يلزم إصباحه جنبًا، فدلَّ ذلك على صحة صيام من أصبح جنبًا.

في فهم النص

الحلقة (٣٦)

إعداد/ متولي البراجيلي

طالما نزع عن أهله قبل الفجر. فدلالة الإشارة في الآية في موضعين: الأول: قوله تعالى: «لَيْلَةَ الصِّيَامِ»، فإنه دال على صحة صوم من أصبح جنبًا للزومه المقصود من حل جماعهن بالليل الصادق على آخر جزء منه. والثاني: من قوله تعالى: «فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ» إلى آخر الآية، فإنه دال على أن إباحة المباشرة ممتدة إلى طلوع الفجر، فيلزم منه جواز الإصباح جنبًا. [انظر: المهذب في علم أصول الفقه د. عبدالكريم النملة ١٧٣٦/٤، الإحكام في أصول الأحكام لأبي الحسن الثعلبي ٦٥/٣، أصول الشاشي ١٠١/١، إجابة السائل شرح بغية الأمل لمحمد بن إسماعيل الصنعاني ٢٣٨/١].

وهناك قرينة منفصلة لما استنبط من الآية من دلالة الإشارة، في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، أخرجه البخاري: «باب الصائم يصبح جنبًا» بسنده عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدركه الفجر وهو جُنُب من أهله، ثم يغتسل، ويصوم. [صحيح البخاري وهو في مسلم بنحوه].

فائدة:

جواز إتيان الزوجة في ليل رمضان من قسم نسخ القرآن للسُّنَّة، وهذا قد قال بوقوعه جمهور الأصوليين – إذ أن إتيان الزوجة في ليل رمضان كان محرمًا ثم نُسخ بهذه الآية.

يقول ابن كثير: هذه رخصة من الله تعالى للمسلمين، ورفع لما كان عليه الأمر في ابتداء الإسلام، فإنه كان إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حَرُم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة، فوجدوا من ذلك مشقة كثيرة. [تفسير ابن كثير ٥١٠/١].

يقول الشيخ ابن عثيمين: قوله تعالى: «فَتَابَ عَلَيْكُمْ» [البقرة: ٥٤] أي: تاب عليكم بنسخ الحكم الأول (عدم إتيان الزوجة) الذي فيه مشقة، والنسخ إلى الأسهل توبة، كما في قوله تعالى في سورة المزمل: «عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ» [المزمل: ٢٠]، فيعبِّر الله عز وجل عن النسخ بالتوبة إشارة إلى أنه لولا النسخ لكان الإنسان آثمًا، إما بفعل محرم أو بترك واجب. [تفسير الفاتحة والبقرة لابن عثيمين ٣٤٨/٢].

المثال الثالث: قوله تعالى: «لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ» [البقرة: ٢٣٦].

دلالة العبارة: ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح وإثم بتطليق النساء قبل المسيس، وفرض المهر. [تفسير السعدي ١٠٥/١].

دلالة الإشارة: صحة العقد بدون إتيان الصداق (المهر).

قال الإمام الشافعي: واستدللنا بقول الله عز وجل: «لاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً» الآية، أن عقد النكاح يصح بغير فريضة (صداق)، وذلك أن الطلاق لا يقع إلا على من عقد نكاحه، وإذا جاز أن يُعقد النكاح بغير مهر فيثبت، فهذا دليل على الخلاف بين النكاح والبيوع، فالبيوع لا تنعقد إلا بثمن معلوم، والنكاح ينعقد بغير مهر. [تفسير الإمام الشافعي ٣٦٥/١، ٣٦٦].

(تُماسوهن) وكلاهما بمعنى واحد، والمراد به الجماع، لكن جرت عادة العرب- والقرآن بلسان عربي مبين - أن يُكنوا عما يُستحيى من ذكره صريحًا بما يدل عليه.

ولكل من القراءتين وجه، فعلى قراءة «تماسوهن» يكون المسيس من الجانبين، فكل من الزوج والزوجة يمس الآخر، ومثله قوله تعالى: «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا» [المجادلة: ٣].

وأما على قراءة حذف الألف «تمسوهن» يفيد وقوع الفعل من جانب واحد، فهو أيضًا واقع؛ لأن حقيقة الفاعل هو الرجل، فهو ماسّ، ومنها قوله تعالى: «وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» عن مريم [آل عمران: ٤٧]، فجعل المسّ من جانب واحد - وهو الرجل-.

٢- في قوله تعالى: «حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ» [البقرة: ٢٣٦]، الإحسان: الفضل الزائد على العدل، كما في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ» [النحل: ٩٠]، فالإحسان تارة يراد به موافقة الشرع - ولو كان شيئًا واجبًا - وتارة يُراد به ما زاد على الواجب، وهذا إذا قرن بـ «العدل» كما سبق.

٣- بالنسبة لصداق (مهر) المرأة لا يخلو من ثلاثة أمور:

أ- أما أن يُشترط المهر ويعيَن.

ب- وإما أن يُسكت عنه.

ج- وإما أن يُشترط عدم المهر.

ففي الحالة الأولى يكون النكاح صحيحًا، ولا نزاع فيه. وفي الثانية النكاح صحيح ولها مهر المثل، وفي الثالثة موضع خلاف بين أهل العلم، فمنهم من يرى أن النكاح غير صحيح، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ورجّحه ابن عثيمين، وقال: لأن الله اشترط للحل المال، قال الله تعالى: «وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ» [النساء: ٢٤].

الهبة، والنكاح بالهبة خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم.

٤- وجوب المتعة على من طلّق قبل الدخول، ولم يسمّ لها مهرًا؛ لقوله تعالى: «ومتعوهن».

٥- امتناع التكليف بما لا يُطاق؛ لقوله تعالى: «عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ» [البقرة: ٢٣٦]، وهذه القاعدة دل عليها القرآن في عدة مواضع، منها قوله تعالى: «لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا» [البقرة: ٢٨٦]، ويؤخذ من الآية أيضًا مراعاة الأحوال في الأحكام، فيثبت في كل حالة ما يناسبها.

٦- أن للعرف اعتبارًا شرعيًّا؛ لقوله تعالى: «مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ» [البقرة: ٢٣٦].

٧- المرأة التي سمى لها المهر وطلقها قبل الدخول، فهذه لها نصف المهر إلا إذا عفت المرأة المطلقة وأسقطت حقها أو سقطت حقها أو عفا وليها الذي بيده عقدة النكاح.

ولا ينسى الناس الفضل بينهم بالإحسان والعفو، قال مجاهد: الفضل إتمام الزوج الصداقَ كله، أو ترك المرأة النصف الذي لها. [تفسير العثيمين الفاتحة والبقرة ٣/١٦٥- ١٧٧، التفسير الوسيط للزحيلي ١/١٣٣- ١٣٤ بتصرف].

المثال الرابع:

قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ» [النحل: ٤٣].

دلالة العبارة: ١- وما أرسلنا من قبلك يا محمد صلى الله عليه وسلم إلى أمة من الأمم للدعاء إلى توحيدنا والانتهاء إلى أمرنا ونهينا، إلا رجالاً من بني آدم نوحي إليهم وحينا لا ملائكة. [تفسير الطبري ١٧/٢٠٧].

٢- وجوب سؤال أهل الذكر عند عدم العلم.

دلالة الإشارة:

١- أن الله تعالى لم يرسل رسولاً من النساء.

٢- سؤال الاسترشاد والتعلم محمود، وقد أمر الله به.

وهذا عكس سؤال التعنت والاعتراض كأسئلة اليهود - لعنهم الله - كمثل ما قال الله تعالى عنهم: «يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً» [النساء: ١٥٣].

وقد نهى الله تعالى المؤمنين عن نحو هذه الأسئلة في قوله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ» [المائدة: ١٠١].

٣- وجوب إيجاد أهل الذكر (من فروض الكفايات على الأمة) ليسألوا؛ إذ لا يمكن سؤال أهل ذكر لا وجود لهم.

مثال مشهور في كتب الفقه (عن دلالة الإشارة): وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم في حق النساء: النساء ناقصات عقل ودين. قيل: وما نقصان دينهن؟ قال: تمكث إحداهن شطر دهرها لا تصلي ولا تصوم».

فهذا الخبر إنما سيق لبيان نقصان دينهن، لا لبيان أكثر الحيض وأقل الطهر، ومع ذلك استنبطوا منه بدلالة الإشارة أن أكثر الحيض خمسة عشر يومًا، وأقل الطهر كذلك؛ لأنه ذكر شطر الدهر مبالغة في بيان نقصان دينهن، ولو كان الحيض يزيد على خمسة عشر يومًا لذكره.

فالإمامان مالك والشافعي قالا: أكثر مدة الحيض خمسة عشر يومًا لا يكون أكثر. [المحلى لابن حزم ١/٤٠٩].

وهذا الحديث رغم شهرته إلا أنه لا يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال ابن منده: لا يثبت بوجه من الوجوه عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن الجوزي: هذا اللفظ لا أعرفه، وقال النووي: حديث باطل.

وقال البيهقي في المعرفة: والذي يذكره بعض فقهائنا من قعودها شطر دهرها لا تصلي، فقد تطلبته كثيرًا فلم أجده في كتب الحديث ولم أجد له إسنادًا بحال. [التذكرة في الأحاديث المشتهرة للزركشي ص٧٠].

وقال الشيخ أبو إسحاق في «المهذب»: «لم أجده بهذا اللفظ إلا في كتب الفقهاء». [المقاصد الحسنة للسخاوي ١/٢٦٨].

ملحوظة: الحديث الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يا معشر النساء، تصدقن وأكثرن من الاستغفار، فإني رأيتكن أكثر أهل النار. قالت امرأة منهن جزلة: ما لنا أكثر أهل النار؟ قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لبّ منكن». قالت: ما نقصان العقل والدين؟ قال: «شهادة امرأتين بشهادة رجل، وتمكث الأيام والليالي لا تصلي». [متفق عليه].

وفي رواية لمسلم من حديث ابن عمر بلفظ: «تمكث الليالي ما تصلي، وتفطر في شهر رمضان، فهذا نقصان دينها».

ومن حديث أبي هريرة كذلك، وفي المستدرك من حديث ابن مسعود نحوه، ولفظه: فإن إحداهن تقعد ما شاء الله من يوم وليلة لا تسجد لله سجدة. [المقاصد الحسنة للسخاوي ١/٢٦٨].

ورواية أبي هريرة هذه ليست صحيحة (منكرة).

قال الشيخ الألباني: لا تسجد لله سجدة ...... منكر مخالف للحديث الصحيح من جهتين:

الأولى: أنه لم يذكر الصيام.

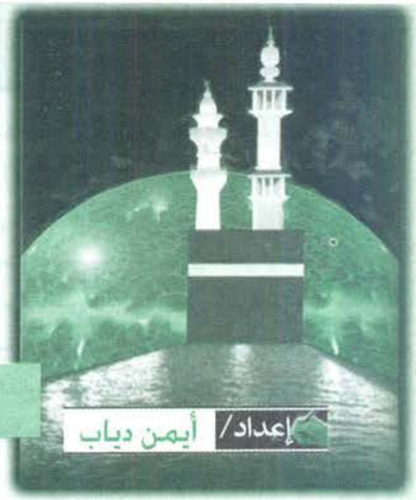
والأخرى: أنه ذكر السجدة مكان الصلاة ..... [السلسلة الصحيحة ١٣/٢٤١].

ويجب الاحتياط في الاستدلال بطريق الإشارة وقصره على ما يكون لازمًا لمعنى من معاني النص لزومًا لا انفكاك له؛ لأن هذا هو الذي يكون النص دالاً عليه، وإذ الدال على الملزوم دال على لازمه.

أما تحميل النص معاني بعيدة لا تلازم بينهما وبين معنى فيه برغم إنها إشارية، فهذا شطط في فهم النصوص، وليس هو المراد بدلالة إشارة النص. [علم أصول الفقه لخلاف ١/١٤٨].

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

النصيحة



إعداد/ أيمن دياب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

كيف كانت النصيحة هي الدين؟

عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ صلى الله عليه وسلم: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ ثَلَاثًا، قُلْنَا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ» [مُسلم ح(٥٥)]. مع أن تكاليف الدين كثيرة، وليست محصورة في النصح وحده، ولذا فما مراده صلى الله عليه وسلم من ذلك؟

قال الإمام النووي-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «هَذَا حَدِيث عَظِيم الشَّأْن، وَعَلَيْهِ مَدَار الْإِسْلَام» [شرح مسلم (١٤٤/١)].

وقال الحافظ ابن حجر-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «يَحْتَمِل أَنْ يُحْمَل عَلَى الْمُبَالَغَة، أَيْ: مُعْظَم الدِّين النَّصِيحَة، كَمَا قِيلَ فِي حَدِيث: الْحَجّ عَرَفَة» [صحيح الجامع ح (٣٥١٢)]، وقال أيضاً: «وَيَحْتَمِل أَنْ يُحْمَل عَلَى ظَاهِره؛ لِأَنَّ كُلّ عَمَل لَمْ يُرِدْ بِهِ عَامِله الْإِخْلَاص، فَلَيْسَ مِنْ الدِّين» [فتح الباري: (١٣٨/١)].

وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فهذا يدلُّ على أنَّ النصيحة تَشْمَلُ خصالَ الإسلام والإيمانِ والإحسانِ التي ذُكرت في حديث جبريل، وسمَّى ذلك كُلَّه ديناً» [جامع العلوم: (ص١١٠)].

كيف تكون النصيحة لله؟

قَالَ الإمام الْخَطَّابِيُّ-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «حَقِيقَة هَذِهِ الْإِضَافَة رَاجِعَة إِلَى الْعَبْد فِي نُصْحه نَفْسه، فَاللَّه تَعَالَى غَنِيٌّ عَنْ نُصْح النَّاصِح» [شرح مسلم (٣٨/٢)].

وقال الإمام النووي-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أَمَّا النَّصِيحَة لِلَّهِ تَعَالَى فَمَعْنَاهَا مُنْصَرِفٌ إِلَى الْإِيمَان بِهِ، وَنَفْي الشَّرِيك عَنْهُ، وَتَرْك الْإِلْحَاد فِي صِفَاته وَوَصْفه بِصِفَاتِ الْكَمَال وَالْجَلَال كُلّهَا، وَتَنْزِيهه سبحانه وتعالى عَنْ جَمِيع النَّقَائِص، وَالْقِيَام بِطَاعَتِهِ، وَاجْتِنَاب مَعْصِيَته، وَالْحُبّ فِيهِ، وَالْبُغْض فِيهِ، وَمُوَالَاة مَنْ أَطَاعَهُ، وَمُعَادَاة مَنْ عَصَاهُ، وَجِهَاد مَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالِاعْتِرَاف بِنِعْمَتِهِ، وَشُكْره عَلَيْهَا، وَالْإِخْلَاص فِي جَمِيع الْأُمُور، وَالدُّعَاء إِلَى جَمِيع الْأَوْصَاف الْمَذْكُورَة، وَالْحَثّ عَلَيْهَا، وَالتَّلَطُّف فِي جَمْع النَّاس، أَوْ مَنْ أَمْكَنَ مِنْهُمْ عَلَيْهَا» [شرح مسلم (٣٨/٢)].

كيف تكون النصيحة لكتاب الله؟

وَالنَّصِيحَة لِكِتَابِ اللَّه: تَعَلُّمه، وَتَعْلِيمه، وَإِقَامَة حُرُوفه فِي التِّلَاوَة، وَتَحْرِيرهَا فِي الْكِتَابَة، وَتَفَهُّم مَعَانِيه، وَحِفْظ حُدُوده، وَالْعَمَل بِمَا فِيهِ، وَذَبّ تَحْرِيف الْمُبْطِلِينَ عَنْهُ، وَالْإِيمَان بِأَنَّهُ كَلَام اللَّه تَعَالَى وَتَنْزِيله، لَا يُشْبِههُ شَيْءٌ مِنْ كَلَام الْخَلْق، وَلَا يَقْدِر عَلَى مِثْله أَحَد مِنْ الْخَلْق، ثُمَّ تَعْظِيمه وَتِلَاوَته حَقّ تِلَاوَته. [انظر: شرح مسلم (٣٨/٢)، وفتح الباري: (١٣٨/١) بتصرف].

كيف تكون النصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم؟

وَأَمَّا النَّصِيحَة لِرَسُول الله صلى الله عليه وسلم: فَتَصْدِيقه عَلَى الرِّسَالَة، وَالإِيمَان بِجَمِيع مَا جَاءَ بِهِ، وَطَاعَته فِي أَمْره وَنَهْيه، وَنُصْرَته حَيًّا وَمَيِّتًا، وَمُعَادَاة مَنْ عَادَاهُ، وَمُوَالاة مَنْ وَالاهُ، وَإِعْظَام حَقّه، وَتَوْقِيره، وَإِحْيَاء طَرِيقَته وَسُنَّته، وَبَثّ دَعْوَته، وَنَشْر شَرِيعَته، وَنَفْي التُّهْمَة عَنْهَا، وَاسْتِثَارَة عُلُومهَا، وَالتَّفَقُّه فِي مَعَانِيهَا، وَالدُّعَاء إِلَيْهَا، وَالتَّلَطُّف فِي تَعَلُّمهَا وَتَعْلِيمهَا، وَإِعْظَامهَا، وَإِجْلالهَا، وَالتَّأَدُّب عِنْد قِرَاءَتهَا، وَالإِمْسَاك عَنْ الْكَلام فِيهَا بِغَيْرِ عِلْم، وَإِجْلال أَهْلهَا لانْتِسَابِهِمْ إِلَيْهَا، وَالتَّخَلُّق بِأَخْلاقِهِ، وَالتَّأَدُّب بِآدَابِهِ، وَمَحَبَّة أَهْل بَيْته وَأَصْحَابه، وَمُجَانَبَة مَنْ ابْتَدَعَ فِي سُنَّته، أَوْ تَعَرَّضَ لأَحَد مِنْ أَصْحَابه، وَنَحْو ذَلِكَ. [شرح مسلم (٢/٣٨)].

كيف تكون النصيحة لأئمة المسلمين؟

وَأَمَّا النَّصِيحَة لأَئِمَّة الْمُسْلِمِينَ فَمُعَاوَنَتهمْ عَلَى الْحَقّ، وَطَاعَتُهُمْ فِيهِ، وَأَمْرُهُمْ بِهِ، وَتَنْبِيههمْ وَتَذْكِيرهمْ بِرِفْقٍ وَلُطْف، وَإِعْلامهمْ بِمَا غَفَلُوا عَنْهُ وَلَمْ يَبْلُغهُمْ مِنْ حُقُوق الْمُسْلِمِينَ [قلت: ويكون ذلك سرًا]، وَتَرْك الْخُرُوج عَلَيْهِمْ، وَجَمْع الْكَلِمَة عَلَيْهِمْ، وَرَدّ الْقُلُوب النَّافِرَة إِلَيْهِمْ، وَتَأَلُّف قُلُوب النَّاس لِطَاعَتِهِمْ.

قَالَ الإِمَامُ الْخَطَّابِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «وَمِنْ النَّصِيحَة لَهُمْ: الصَّلاة خَلْفهمْ، وَالْجِهَاد مَعَهُمْ، وَأَدَاء الصَّدَقَات إِلَيْهِمْ، وَتَرْك الْخُرُوج بِالسَّيْفِ عَلَيْهِمْ إِذَا ظَهَرَ مِنْهُمْ حَيْف أَوْ سُوء عِشْرَة، وَأَنْ لا يُغَرُّوا بِالثَّنَاءِ الْكَاذِب عَلَيْهِمْ، وَأَنْ يُدْعَى لَهُمْ بِالصَّلاح»، ثُمَّ قَالَ: «وَقَدْ يُتَأَوَّل ذَلِكَ عَلَى الأَئِمَّة الَّذِينَ هُمْ عُلَمَاء الدِّين، وَتَقَع النَّصِيحَة لَهُمْ بِبَثّ عُلُومهمْ، وَنَشْر مَنَاقِبهمْ، وَقَبُول مَا رَوَوْهُ، وَتَقْلِيدهمْ فِي الأَحْكَام، وَإِحْسَان الظَّنّ بِهِمْ» [شرح مسلم (٢/٣٩) بتصرف].

وليُعلم أن أئمة المسلمين لا يُراد بهم الأئمة الذين لهم الإمامة العظمى، ولكن يُراد به ما هو أعم، فكل من له إمرة ولو في مدرسة: فإنه يعتبر من أئمة المسلمين، إذا نصح وصلح، صلح من تحت يده. [شرح رياض الصالحين للعثيمين (٢/٣٥٥)].

كيف تكون النصيحة لعامة المسلمين؟

وَأَمَّا نَصِيحَة عَامَّة الْمُسْلِمِينَ وَهُمْ مَنْ عَدَا وُلاة الأَمْر: فَإِرْشَادهمْ لِمَصَالِحِهِمْ فِي آخِرَتهمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَكَفّ الأَذَى عَنْهُمْ، فَيُعَلِّمهُمْ مَا يَجْهَلُونَهُ مِنْ دِينهمْ، وَيُعِينهُمْ عَلَيْهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْل، وَسَتْر عَوْرَاتهمْ، وَسَدّ خَلاتهمْ، وَدَفْع الْمَضَارّ عَنْهُمْ، وَجَلْب الْمَنَافِع لَهُمْ، وَأَمْرهمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيهمْ عَنْ الْمُنْكَر بِرِفْقٍ وَإِخْلاص، وَالشَّفَقَة عَلَيْهِمْ، وَتَوْقِير كَبِيرهمْ، وَرَحْمَة صَغِيرهمْ، وَتَخَوُّلهمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة، وَتَرْك غِشّهمْ وَحَسَدهمْ، وَأَنْ يُحِبّ لَهُمْ مَا يُحِبّ لِنَفْسِهِ مِنْ الْخَيْر، وَيَكْرَه لَهُمْ مَا يَكْرَه لِنَفْسِهِ مِنْ الْمَكْرُوه، وَالذَّبّ عَنْ أَمْوَالهمْ وَأَعْرَاضهمْ، وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ أَحْوَالهمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْل، وَحَثّهمْ عَلَى التَّخَلُّق بِجَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ أَنْوَاع النَّصِيحَة، وَتَنْشِيط هِمَمهمْ إِلَى الطَّاعَات. [شرح مسلم (٢/٣٩)].

هذا والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

شبهات الشيعة حول الصحابة الأبرار

الحلقة الثالثة



إعداد/ أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن من الشبهات التي أثارها الشيعة الرافضة حول الصحابة الأبرار قولهم: إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما أمر أصحابه بالحلق والنحر في الحديبية؛ وذلك لأن قريشًا صدتهم عن المسجد الحرام، لم يستجب أصحابه لأمره فدخل النبي صلى الله عليه وسلم وهو غضبان على أم سلمة رضي الله عنها، فقالت له: ما لك يا رسول الله غضبان؟ فقال: «وما لي لا أغضب وإني آمر الناس فلا يستجيبون لي». [أصل الحديث رواه البخاري ٢٧٣١ بغير هذا اللفظ].

قال الشيعة: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أغضبوه ومثل هؤلاء يستحيل أن يكونوا عدولاً، ولو تأمل هؤلاء قليلاً لوجدوا أن عروة بن مسعود رضي الله عنه في ذات القصة يخبر عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتلقفون تفلته قبل أن تسقط على الأرض تبركًا بها، وقال: دخلت على قيصر وكسرى في ملكهم فما رأيت أحدًا يُعظَّم في ملكه كما رأيت أصحاب محمد يعظمون محمدًا (صلى الله عليه وسلم) [البخاري ٢٧٣١].

وحقيقة الأمر أن الصحابة رضوان الله عليهم تأخروا لعل الله يُحدث لهم أمرًا، فينسخ الأمر ويؤمر النبي صلى الله عليه وسلم بدخول مكة، ودليل ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم عندما خرج عليهم ونحر وحلق أسرعوا جميعًا فنحروا وحلقوا واستجابوا لأمر الله، تبارك وتعالى، الذي أنزل فيهم بذلك: «لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ» [الفتح: ١٨].

ومعلومٌ بإجماع أهل السنة والشيعة أن عليًا رضي الله عنه كان معهم وهو الذي كتب كتاب الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وسهيل بن عمرو، فهل يذم الشيعة عليًا لأنه لم ينحر ولم يحلق كسائر الصحابة في بدء الأمر؟!

وأمام هذا السؤال سيقف الشيعة صامتين

لتناقض عقائدهم وتضارب رواياتهم. [راجع حقبة من التاريخ ص١٥٨].

٢- قالوا: إن النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته كان قد جهز جيش أسامة ولم يخرج معه أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وغالب الصحابة والنبي صلى الله عليه وسلم قال: «لعن الله من تخلف عن جيش أسامة». وبعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج جيش أسامة ولم يخرج معه أبو بكر وعمر فهما ملعونان بقول النبي صلى الله عليه وسلم!!

وللرد على هذه الشبهة نقول:

أ- إن هذا من كذب الشيعة الروافض في وضع الروايات وتلفيقها، فلم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن من تخلَّف عن جيش أسامة، هذا أولاً.

ب- وثانيًا أن الصديق رضي الله عنه تخلف عن جيش أسامة؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يصلي بالمسلمين في مرض موته فصلى بهم اثني عشر يومًا، فكيف لعاقل أن يسأل بعد ذلك عن عدم خروجه؛ إذ كيف يجمع بين الصلاة بالمسلمين والمشاركة في جيش أسامة، لكنها الحماقة وعمى البصيرة، أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد كان في جيش أسامة لكن الصديق لخلقه استأذن أسامة أن يبقيه معه في المدينة ليشاوره في أموره فأذن له. [راجع تاريخ الطبري ٢/٤٢٩، والكامل لابن الأثير ٢/٢١٥، والبداية والنهاية ٥/٢٠٣].

٣- قولهم: إن خالد بن الوليد أمر ضرار بن الأزور بضرب عنق مالك بن نويرة؛ ذلك لأنه بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وارتد من ارتد من العرب عن الإسلام، أرسل الصديق للمرتدين من يقاتلهم، وكان خالد ضمن القادة الذين أرسلهم الصديق لهذه المهمة الهامة، فقاتل مسيلمة الكذاب في معركة الحديقة، ولما جاء لقوم مالك بن نويرة الذين منعوا الزكاة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال مالك بن نويرة له: هذا المال كنا ندفعه لصاحبكم في حياته فأمر خالد بقتله، هذه رواية.

والثانية تقول: إن مالك بن نويرة تابع سجاح حين ادعت النبوة.

ورواية ثالثة تقول: إن خالد قال لأصحابه بعد أن أسر من قوم مالك بن نويرة من أسر قال لأصحابه: أدفئوا أسراكم وكانت ليلة باردة، وفي لغة ثقيف أدفئوا تعني اقتلوا، فظنوا أن خالد يريد قتلهم فقتلوهم، وأيًّا كانت الروايات الصحيحة، فإن خالد رضي الله عنه قتلهم متأولاً، وهذا لا يُعاب عليه، لكن قولهم: إن خالدًا دخل على زوجة مالك بن نويرة بعد قتله في ذات الليلة التي قُتل فيها، فهذا محض افتراء. [راجع البداية والنهاية ٧/٣٢٦، حقبة من التاريخ ١٥٩ وما بعدها].

ولذا لما اقترح عمر رضي الله عنه على الصديق عزل خالد بعد تلك الواقعة قال له الصديق: إنه سيف سلَّه الله على المشركين. [الكامل ٢/٢٤٢].

٤- قتل معاوية رضي الله عنه لحجر بن عدي، والقصة كما أوردها ابن حجر في الإصابة (١/٣١٣)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (٣/٤٦٣) وما بعدها، وابن كثير في البداية والنهاية (٨/٥٤).

وحجر بن عدي كان من أتباع علي رضي الله عنه وتبعه في معركة صفين، وفي عام الجماعة الذي تنازل فيه الحسن لمعاوية ولَّى معاوية الكوفة لزياد بن أبي سفيان، وكان علي قد ولاه البصرة من قبل، فزاده معاوية الكوفة التي قام فيها يومًا يخطب الجمعة، فقام له حجر بن عدي وقال: الصلاة الصلاةَ؛ لأنه أطال بهم لكنه استمر في خطبته فحصبه حُجر بالحجارة وهو على المنبر، وعندما علم معاوية بالواقعة أمر زيادًا بإرسال حجر بن عدي إليه وقتله لإثارته الفتنة، وقد قال معاوية لعائشة حين سألته عن حجر: دعيني وحجرًا حتى نلتقي عند الله. [انظر العواصم من القواصم ص٢٢٠].

ولنا أن نقول للرافضة: دعوا حجرًا ومعاوية حتى يلتقيا عند الله، علمًا بأن حجرًا في الراجح من أقوال أهل العلم كان تابعيًا ولم يكن صحابيًا، وهذا اختيار البخاري والرازي وابن حبان وابن سعد. [الإصابة ١/٣١٣].

٥- قولهم: إن الصديق رضي الله عنه منع فاطمة رضي الله عنها من ميراث فدك الذي آل إليها من أبيها صلى الله عليه وسلم، وأهل السنة في ذلك يرون أن الحق مع الصديق؛ لأنه استدل بحديث متواتر وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لا نُورث، ما تركناه صدقة» [مسلم ١٧٥٧]. فالصديق رضي الله عنه لم يخطئ في حق فاطمة رضي الله عنها، بيد أن الرافضة يحرّفون الكلم عن مواضعه؛ حيث جعلوا (ما) في قول النبي صلى الله عليه وسلم (ما تركناه صدقة)، نافية أي لم تزل صدقة، والصواب أن (ما) هنا موصولة للرواية الصحيحة التي في الصحيحين: «ما تركناه صدقةٌ» بالرفع هذا أولاً، وثانيًا أن الروافض استدلوا بآيات في كتاب الله سبحانه هي حجة عليهم وليست لهم، من ذلك:

- قوله تعالى: «يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» [مريم: ٦]، فالآية أثبتت الوراثة ليحيى من أبيه زكريا، عليهما السلام، والجواب من وجوب عديدة: أولها هل يليق بزكريا أن يسأل الله الولد ليرث ماله مع كونه كان يعمل نجارًا ليس من أصحاب الأموال، ثم أين يحيى في آل يعقوب؛ حيث قال زكريا «يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» [مريم: ٦]، أليس آل يعقوب منهم موسى وداود وسليمان ويحيى وزكريا، بل كل أنبياء بني إسرائيل من آل يعقوب، والسؤال: ما هو نصيب يحيى في ميراث آل يعقوب، وأليس هو محجوبًا بالفرع الوارث، كل ذلك يدل على أن الميراث هو ميراث النبوة والعلم والحكمة وليس المال، بيد أن الشيعة لا يفقهون.

- وقول الله تعالى: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» [النمل: ١٦] قالت الرافضة: هو ميراث المال، وقال أهل السنة: بل هو العلم والحكمة والنبوة؛ ذلك لأن داود عليه السلام له أولاد كثر، فلما خص سليمان بالميراث دون غيره؟ ثم أليس من المُسَلَّم به أن الولد يرث أباه، فلماذا قال الله سبحانه: «وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ» لا بد أن ذلك يعني ميراث العلم والحكمة والنبوة لا ميراث المال كما تزعم الشيعة.

٦- لكن بعض الشيعة فطن إلى ذلك التخبط في فهم الآيات فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فاطمة فدك هبة وهدية؛ حيث لما أنزل الله عليه «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» [الإسراء: ٢٦]، نادى فاطمة وأعطاها فدك. [تفسير الكافي: ٣/١٨٦].

والجواب على ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصف من يعطي بعض أبنائه دون الآخرين بأنه جائر أي ظالم؛ حيث قال لبشير رضي الله عنه الذي أراد أن يُشهده على عطية لولده دون آخر، فقال: «أكلَّ أولادك أعطيت؟» فقال: لا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اذهب، فإني لا أشهد على جَوْر». [متفق عليه].

فأين كانت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تُوفيت في السنة الثامنة بعد فتح خيبر، وأين كانت أم كلثوم التي تُوفيت في السنة السابعة، فكيف يعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ويدع زينب وأم كلثوم، هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يفرّق بين أبنائه؟!

ثم إن كانت فدك ميراثًا أو هبة لفاطمة من أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن الذي يرثها بعد موتها؛ حيث ماتت بعد أبيها بستة أشهر، أليس لزوجها الربع لوجود الفرع الوارث الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم «لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ» [النساء: ١١]، فلماذا لم يطالب عليّ بحقه وحق أولاده في خلافته هو لا في خلافة العمرين؛ إذ كيف يوافق عليّ على الظلم إن كان الصديق وعمر ظلما كما تزعمون!!

والعجيب في ذلك أنهم يدّعون أن فاطمة ذهبت إلى قبر أبيها تشكو له الصديق وماتت وهي غاضبة على الصديق أيضًا!! والسؤال هنا: هل يجوز لفاطمة أن تشكو لأبيها في قبره من ظلم الصديق وأبوها خير الأنام كان يشكو إلى الله؟! وصدق رب العالمين «إنما أشكو بثي وحزني إلى الله» ثم من الذي غسَّل فاطمة بعد موتها، أليست هي أسماء بنت عميس زوجة الصديق؟!! ثم أخيرًا أليست المرأة لا ترث العقار عندكم، فلماذا تُطالب فاطمة بميراثها فيه؟!!

والله من وراء القصد.

دار الألوكة للنشر

دار الألوكة للنشر
تقدم باكورة إصداراتها

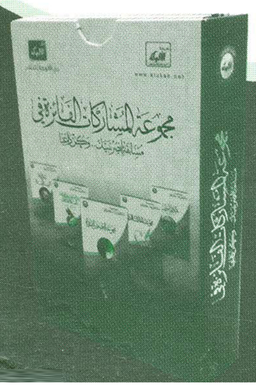
مُسابقة انصُر نبيّك.. وكُن داعِيًا

مكتبة إسلامية قيمة في النصرة النبوية، تشتمل على:

- نبيُّ المسلمين ودينُ الإسلام والحضارة الإسلامية
- هكذا أسلمت.. بحثٌ عن الحقيقة لمدَّة عام
- رسولُ الله ﷺ الرَّحمة المهداة
- مجموعة القصص الفائزة في مسابقة (انصُر نبيَّك وكن داعيًا):
  - هل أسلم القيصر؟
  - الإفك المحنة البليغة
  - أنا وفيليب ومحمد
  - المفــــــتاح
- مجموعة المقالات الفائزة في مسابقة (انصُر نبيَّك وكن داعيًا):
  - دور النبيِّ محمد ﷺ في تحضُّر العرب
  - رسول السلام
  - بعض ما قدَّمته رسالة النبيِّ ﷺ للمرأة
  - بل كان نبيًّا رسولاً



مجموعة قيمة، نقدمها في علبة فاخرة تجعل منها هدية نفيسة



للطلب والاستفسار:

عبر البريد الإلكتروني: info@alukah.net

هاتف: الرياض: 00966551553376

القاهرة: 0020162590230

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م

ومن أهدافها:

١ - الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حبًّا صحيحًا صادقًا يتمثل في الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

• • • •

٢ - الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين: القرآن والسنة الصحيحة، ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

• • • •

٣ - الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدةً وعملاً وخُلُقًا.

• • • •

٤ - الدعوة إلى إقامة المجتمع المسلم، والحكم بما أنزل الله، فكل مشرّع غيره - فيما لم يأذن به الله تعالى - معتدٍ عليه سبحانه، منازِع إياه في حقوقه.

جماعة أنصار السنة المحمدية

العمل بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة